مختار الأسدي

الغلوّ والتطرّف إلى أين؟!



مؤسسة الانتشار العربي



الغلوّ والتطرّف إلى أين؟!

لم يحاول هذا الكتاب حلّ إشكالية الغلوّ في الفكر الشيعي المعاصر بمساجلة إقناعية أو حلقة نقاشية ، وإنما سار سيراً هادئاً في جدل ساخن يتمحور بين إتجاهين : أحدهما يحمل إسلاماً (علوياً) نقياً خال من الأساطير والخرافات ويدعو إلى الدين الحقيقي والخطاب الاسلامي المعتدل ، والآخر : (صفوياً) خرافياً طائفياً حُسب أو يُحسب على التشيع مع الأسف الشديد . وكذلك على وجود نوعين من التسنن : أحدهما (راشدي) قريب إلى حقيقة التسنن الأصيل رغم ما يسجّله التشيع عليه من مؤاخذات هنا وهناك ، وآخر (أموي) منحرف طائفي مقيت قائم على القتل والارهاب والدم . وان مشكلة المسلمين هي الصراع الأزلي بين طرفي الانحراف هذين أي (التشيّع الصفوي والتسنّن الأموي) .

إنها مجرد إلتماعة ربما أشعلت عود ثقاب في ظلام دامس يسير فيه ركبان متسابقان نحو هدف مبيّت ولا يدري كلاهما أنهما يَزحفان أو يُزحّفان من قبل عدو خبيث يتربّص بهما الدوائر ويتحيّن بهما الفرص .

ISBN 978-614-404-414-8
9 786144 044148

الغلوّ والتطرّف
إلى أين؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

مختار الأسدي

الغلوّ والتطرّف
إلى أين ؟!

المحتويات

المقدمة

ربّما يتصوّر البعض أن هذا الكتاب هو محاولة للطعن والتشكيك بعقائد الشيعة، أو ترويجًا للأفكار الوهابية ضدهم. لكن الحقيقة هي غير ذلك تمامًا، فهو محاولة جادة لمشروع إصلاحي مهم سلكه ويسلكه علماء ومفكرون وكتّاب وباحثون سعوا وما زالوا يسعون لإزالة ما تراكم من الصدأ والزيف على الأفكار والمفاهيم الأصيلة التي جاء بها رواد المذهب الشيعي الفضلاء.

فالكتاب يسعى أولًا: إلى إسقاط ما في أيدي التكفيريين من حجج واهية يتحججون بها لتكفير الشيعة الأصلاء ورميهم بالشرك والضلال، اعتمادًا على روايات ضعيفة وأفكار وسلوكيات غير متفق عليها شيعيًّا وتصويرها بأنها التشيع الحقيقي.

والكتاب ثانيًا: هو محاولة متواضعة لإثارة (الوعي العقائدي) الذي يُعتبر بمثابة الأساس لكل أنواع الوعي الأخرى: سياسية كانت أو اجتماعية أو تاريخية. ولا يخفى أن هذا الوعي هو العنصر الرئيسي المحرّك للتاريخ والرائد الأول للتغيير الاجتماعي المطلوب.

وثالثًا: إن الكتاب يدعو إلى ضرورة التغيير والتجديد من داخل الإطار وعدم انتظار حدوثه من الخارج، وتحت ضغوط التطور ومقاطع الصراع الحضاري، التي قد لا تكون مناسبة وملائمة في معظم الأحيان.

وهذا يعني أننا يجب أن نجدد آلياتنا ووسائلنا قبل أن نضطر مرغمين على التجديد بآليات وأساليب الآخرين، أو المخاطرة بانفضاض الجماهير عن المشروع الإسلامي، بل عن الدين عمومًا والارتماء في أحضان العقائد والأفكار الأخرى المنافية للدين والقيم الدينية.

وأخيرًا فإن الكتاب ربّما يقترب كثيرًا من نظريات المجددين في بعض إشاراته وتلميحاته التي تؤكّد على وجود نوعين من التشيع: أحدهما (علوي) خال من الأساطير والخرافات ويدعو إلى الدين الحقيقي والوحدة الإسلامية، والآخر: (صفوي) خرافي طائفي حُسب أو يُحسب على التشيع مع الأسف الشديد، وكذلك على وجود نوعين من التسنن: أحدهما (راشدي) قريب إلى حقيقة التسنن الأصيل رغم ما يسجله التشيع عليه من مؤاخذات هنا وهناك، وآخر (أموي) منحرف طائفي مقيت لا يقرّه متديّن منصف بأي حال من الأحوال. وإن مشكلة المسلمين هي الصراع الأزلي بين طرفي الانحراف هذين (التشيع الصفوي والتسنن الأموي).

ولا يخفى أن الاضطهاد الطويل والمرير الذي تعرض له الشيعة على امتداد قرون قد أدّى وبردّة فعل فطرية إلى التمسك حتى بقشور التشيع تلفّعًا بانتماء عقائدي باهت حفاظًا على الهوية أولًا، واحتماءً بملاذ أخلاقي ومعنوي ثانيًا، وهو ما قاد في ما بعد إلى تحوّل هذه القشور والعواطف والشعارات إلى أشياء مقدسة يجري التعبد بها قربة إلى الله تعالى.

إن ارتفاع حالة الاضطهاد الطائفي ستسمح للعقل الشيعي المتنور بإعادة تشكيل نفسه عبر التأمل في الكثير من الموروث

الديني الذي ورثه من قرون الظلم والجور، وهذا ما سيفتح أمامه بالتأكيد آفاق جديدة في الفكر والعقيدة والحياة. كما أن هذا يلقي بالمسؤولية على عاتق العلماء والمفكرين في ضرورة قول كلمة الحق، وعدم الخوف من سدنة التخلف والخرافة، وكذلك على عاتق الآخرين من الإخوة في الدين بأن يرفعوا ظلمهم وعَنَتَهم عن أبناء هذه الطائفة المظلومة كي يعوا عقيدتهم بعقولهم لا بعواطفهم، وبصفائهم لا بتأوهاتهم وأنين جراحاتهم.

ومن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب لملامسة إحدى هذه الحشرجات التاريخية والعقائدية، ومقاربة القاسم المشترك الموجود بين هاتين الطائفتين المسلمتين وتجلية خيوطه المتينة التي أضعف حياكتها تجار السياسة من جانب، والعقل المتطرف لكليهما من جانب آخر.

ولعل أول معالم هذا التطرف وأشدها خطرًا على العقل الشيعي هو الغلّو. إلّا أن هذا الكتيب لم يحاول طرح إشكالية الغلوّ في الفكر الشيعي المعاصر بمساجلة إقناعية أو بحث تحقيقي كامل الاستظهارات، وإنما سار سيرًا هادئًا وربما عابرًا في فضاء واسع استغرق من العقل الشيعي عقودًا طويلة ومازال مع الأسف.

نعم، لقد تمحور هذا البحث في دائرتين: حيث ترى الأولى أن هناك تيارًا قاصرًا أو مقصرًا في فهم المعصومين يستهدف النيل منهم (سلام الله عليهم) فيرى نفسه مكلفًا للقيام بمهمة استنهاضية نبيلة للدفاع عن هذا المقام المقدس وكشف هذا القصور أو التقصير عبر إثبات الكرامات والمعجزات والخوارق بكل أشكالها وألوانها الحقيقية والوهمية.

والثانية التي ترى أن هناك خصمًا يتشبث بمقولة: (نزّهونا

عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم) فتنداح الدائرتان في هوس الغلوّ وهلوسته وفرقه وتفريخاته أملًا بائسًا في ملء فراغ العوام الروحي، وحلّ أزماتهم النفسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية والسياسية، وبالتالي فلا بدّ من إنقاذ.

إن الكتيب مجرد التماعة أو إضاءة ربما أشعلت عود ثقاب أمام ركبين متسابقين في ليل كالح الظلمة إلى هدف غير واضح، ولا يعلمان أنهما يزحفان أو يُزحّفان نحو عدوٍ خبيث يتربص بهما الدوائر والفرص.

تصدير

بقلم: جهاد العراقي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(1).

الغلوّ آفة خطيرة ومرض عضال أصاب المجتمعات البشرية عبر التاريخ، فأفسد عليها حياتها وعقائدها، وأوردها موارد الهلاك في دنياها، وربما يوردها موارد النيران والعذاب في آخرتها، وقد كانت آخر حلقات الغلوّ قبل الإسلام هو ما ظهر في الديانتين اليهودية والمسيحية، فاليهود غلوا في (عزير) والنصارى غلوا في (المسيح) عيسى ابن مريم عليه السلام واعتبروه الشقّ الثاني من الحقيقة الإلهية، أو الصورة البشرية للإله الذي تجلّى لعباده بصورة المسيح عليه السلام، وأنه هو (الفادي) الذي يشفع للمسيحيين دون غيرهم يوم القيامة، وبصلبه فإنه قد فداهم من العذاب، . . . . إلى غير ذلك من العقائد الغالية والمنحرفة.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ

(1) سورة المائدة، الآية: 77.

ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[1].

عُرِّف الغلوّ لغةً: بأنه مجاوزة الحدّ والإفراط في الشيء[2].

وعُرِّف اصطلاحًا: بأنه تجاوز الحدّ والخروج عن القصد[3].

وقد اعتبر علماؤنا أن التفويض قسم من أقسام الغلوّ في تعريفه أن الله سبحانه خوّل وفوّض أمر الخلق والرزق، والإحياء والإماتة للأئمة عليهم السلام بمعنى أنه جلّ وعلا فوّض أمر التكوين والتشريع لهم عليهم السلام[4].

(1) سورة التوبة، الآية: 30.

(2) **لسان العرب**، ابن منظور، 15: 132.

(3) الشيخ المفيد، **تصحيح الاعتقادات** ص 52. وقد خرج بعض الشيعة عن القصد وتجاوزوا الحدّ في تحديدهم لصفات الإمام علي عليه السلام والأئمة من ذريته سلام الله عليهم أجمعين.

(4) المصدر السابق نفسه ص 112. وهو أمر أنكره الشيخ المفيد إنكارًا مطلقًا.

تاريخ الغلوّ عند المسلمين وأسبابه

كان أول ظهور لهذه الظاهرة في تاريخ الإسلام، هو ما حدث في زمن الإمام علي عليه السلام وذلك عندما ألّههُ مجموعة من الناس لا يزيد عددهم على سبعين نفرًا، وقد قام الإمام عليه السلام بإحراقهم بالنار بعد أن عجز عن إقناعهم بالعدول عن عقيدتهم المنحرفة تلك[1].

ثم كمنت هذه الظاهرة لتنفجر فيما بعد بوجه الإمام الصادق عليه السلام. ولتستمر بعده وحتى نهاية عصر الأئمة عليهم السلام، وقد وصلت إلينا أكثر من (35) رواية عنهم عليهم السلام في فضح الغلاة والمفوضة ولعْنهم والتحذير منهم، وكذلك فقد أُلّفت الكثير من الكتب في الردّ على الغلاة في ذلك العصر، ألّفها أصحاب الأئمة عليهم السلام أنفسهم.

أما بعد عصر الأئمة عليهم السلام فإن هذه الظاهرة كانت تراوح بين مدّ وجزر، لتنتهي أخيرًا إلى فرق دينية وعقائد منحرفة وأدوات بائسة صارت سلاحًا بيد أعداء الإسلام، تُوظّف لخدمة مخططاتهم في القضاء على وحدة المسلمين وتحريف عقائدهم. ومن أهم المصاديق على ذلك فرق الشيخية والبابية والبهائية، كما سيتبيّن في ثنايا هذا البحث.

(1) يضعّف بعض المؤرّخين هذه الحادثة ـ كما سنقرأ ـ المؤلف.

بالإمكان إرجاع أهم أسباب الغلوّ إلى ما يلي:

1 ـ الدافع النفسي والعاطفي

لقد اعتاد البشر عبر التاريخ وعند جميع الشعوب والأمم على تقديس وتعظيم أنبيائهم وقادتهم ورموزهم. وبعد وفاتهم أو استشهادهم يتحول هذا التقديس إلى عبادة وتأليه وغلوّ، فما هو السرّ في ذلك..؟

الجواب: إن طبيعة الإنسان المادية هي التي أوجدت فيه هذا النزوع نحو التصنيم؛ ولذلك جاءت الرسالات السماوية لترتقي بالإنسان إلى مستوى التعامل مع المجرد.

فبمرور الزمن وكلما اتّسعت الشقة الزمنية بين الناس وبين النبي المتوفى أو الشهيد، كلما تراكمت على صفحات النفوس المؤثرات المادية والمنحرفة، فتتلوث الفطرة ويصبح الإنسان ميالًا إلى التفاعل مع الرموز المجسدة التي تمثّل القيم المقدسة عنده أكثر من ميله وتفاعله مع الأفكار والمفاهيم المجردة، حتى تنتهي الحال ببعضهم إلى الشرك والوثنية.

ولهذا السبب كان هذا العدد الكبير من الأنبياء الذين بُعثوا للناس ليستثيروا كوامن الفطرة الصافية النقية وغير الملوثة، في داخل نفوسهم، ويزيلوا ما تراكم عليها من الشوائب المادية والدنيوية التي شكّلت حاجزًا يحجب عنها رؤية الحق، واكتشاف الواقع، ورفض عبادة الأوثان والأصنام والطواغيت والظواهر الطبيعية.

وهذا هو بالضبط ما حدث في علاقة بعض الناس مع أهل البيت ﷺ، حيث تحولوا إلى شبه آلهة في العقل الشعبي، والوجدان الشيعي البسيط.

فأهل البيت عليهم السلام وبسبب ما كانوا يجسدونه من قيم أخلاقية عالية وبسبب ما كانوا عليه من علم وجهاد وتضحية ودفاع عن المظلومين والمستضعفين، وسعي حثيث للدفاع عن العدالة الاجتماعية والدعوة إلى الحق، ثم استشهادهم في هذا السبيل، كل ذلك ترك لهم في النفوس أعظم الأثر وأعطر الذكرى، فتحوّلوا تدريجيًّا إلى مثل عليا ومنارات هدى في حياة الناس، وهو أمر طبيعي وصحيح ومطلوب، وقد دعت الشريعة إليه، فمدْح الأنبياء والرسل والأئمة والصالحين ومعرفة منزلتهم والاقتداء بهم وحفظ حرمتهم ومكانتهم أمر محمود ومرغوب بل واجب، إلّا أن الذي حدث هو أنه تحول فيما بعد وبمرور الزمن وعند البسطاء وأصحاب العقول الضعيفة إلى نوع من الغلوّ والتقديس الخارج عن الحدّ، فاجتماع (المحبوبية) مع (المظلومية) في أحضان (الجهل) لا بدّ وأن ينتهي إلى الغلوّ والتأليه.

فالغلوّ، إذن، وباء لا ينمو ولا ينتشر إلّا في الأوساط الجاهلة والمتخلّفة، ولذلك فإن عوام الناس وجهّالهم، هم المادة الرئيسية والحَمَلة الحقيقيون والمخلصون لهذا الوباء الخطير، أما ما نراه اليوم من تصدي بعض (أصحاب العلم) في التنظير لهذه الظاهرة ولهذا الوباء فهو أمر (بَعدي)، فالغلوّ لا يمكن أن ينشأ في الأوساط العلمية والمثقفة والواعية، ولكنه وبعد أن ينتشر ويتجذر في المجتمع بسبب التخلف الحضاري والثقافي، وتتربى عليه أجيال من الناس، يتحول إلى عقيدة وانتماء يتصدى البعض من ذوي الاختصاص الديني والمتأثرين بالفلسفات والعقائد الغنوصية الباطنية للدفاع عنه والتنظير والترويج له مجاراة للعامة أو لمقاصد خاصة مصلحية أو منحرفة.

وهكذا فإنه يتحول تدريجيًّا من مرحلة العاطفة الفردية والاجتهاد الشخصي والذوق العبادي إلى مذهب ونظرية وفرقة وأيديولوجيا، حيث يحاول أصحاب العقائد الفلسفية المنحرفة وأصحاب النوايا السيئة استغلال هذه العواطف والمشاعر، والأحاسيس المأزومة أحيانًا، للانحراف بها نحو الغلوّ والشرك والوثنية، وبعدها تمزيق الصف والاعتياش على الصراع.

2 ـ الأثر الفلسفي

إن الغلوّ عند المسلمين هو صفة عامة لكلّ من حاول أن يجمع بين الدين والفلسفة الافلاطونية الحديثة[1] ـ الإشراقية ـ، ولقد تأثر أصحاب المدرسة الصوفية في الإسلام بالمنهج الإشراقي وبفلسفات الأمم الوثنية ـ الفرس والهنود والإغريق ـ ولذلك فإن أفكارهم قد اختزنت في داخلها الكثير من المفاهيم والأفكار الخرافية، والأسطورية غير الواقعية وغير المنطقية.

وقد هيمن المنهج الصوفي على الفكر الشيعي لعدة قرون وطبعه بطابعه حتى وصل إلى (الصفويين) الذين هم فرقة سياسية صوفية متطرّفة هيمنت على الوجود الشيعي في إيران والعراق فترة طويلة.

المتتبع للسلوك الاجتماعي والأفكار الدينية في المجتمع الشيعي المعاصر سيجد أن الأثر الصوفي الصفوي واضح بل وطاغٍ وطافح في الكثير من هذه السلوكيات والأفكار والمفاهيم، كالكثير المبتدَع من الشعائر الحسينية والممارسات المذهبية الطائفية والمغالية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

(1) **الشيخية ـ نشأتها ـ تطورها** / محمد حسن الطالقاني ص 281.

3 ـ الدافع السياسي

إن العناصر الفاعلة في إثارة هذه الأفكار والترويج لهذه المعتقدات في القديم هم غالبًا من (الشعوبيين)[1] الذين كانوا يُظهرون الإسلام ويُخفون عقائدهم الوثنية المنحرفة، وأحقادهم على الإسلام والمسلمين، وخاصة العرب منهم، حتى جاء الصفويون فيما بعد ليحملوا راية الغلوّ ويوظّفوها كمولّد ذاتي للشحن الطائفي والعاطفي، وهو ما كان يخدم حربهم العبثية والدموية مع العثمانيين. أما اليوم فقد دخل الغرب الاستكباري على الخط ليمارس بنفسه دور المحرّك والمثير لهذه الظاهرة عبر دعم الفرق الضّالة والمنحرفة، أو حتى الشروع بتكوين هذه الفرق وإطلاقها في الساحة الإسلامية لتمارس دورها التخريبي على الصعيد الفكري والعقائدي والاجتماعي والسياسي مما يتيح له تمزيق المسلمين والتسلّط عليهم واستعمار بلادهم. وفرق الشيخية والبابية والبهائية وغيرها من فرق الضلال ومخالب الاستعمار ما هي إلّا نماذج بارزة وثمار ناضجة لشجرة الانحراف، بجذورها الثلاثة (النفسي والفلسفي والسياسي). ونتيجة طبيعية لتلاقح (العقول الضعيفة) و(الأفكار الفلسفية المنحرفة) و(النوايا السياسية الخبيثة).

(1) **الشعوبية**: مفهوم سياسي تجلّى في فهم عرقي بغيض مفاده أن أصحابه حاقدون على العرب الذين حملوا راية الإسلام، فإذا عرفوا للعرب خيرًا ستروه، وإن عرفوا لهم شرًّا نشروه وضخّموه.

نتائج الغلوّ وآثاره

يمكننا استظهار الآثار الخطيرة للغلوّ على الفكر والعقيدة والمجتمع الإسلامي من خلال ما يلي:

أ ـ في الجانب الفكري والعقيدي

إن الأثر المهم الذي يتركه الغلوّ في هذا الجانب هو تخصيب العقول وتهيئة الأذهان لتقبّل الشرك، بعد أن يتمّ ترويضها على تقبل الخرافات وتصديق الأكاذيب والأوهام والأحلام، فيتحول الله تعالى عند الإنسان المسلم الشيعي البسيط إلى مفهوم (مجرّد) غير مؤثر وغير فاعل في الحياة، أي إنه يبقى في ذهنه وعقله ولكنه لا ينفذ إلى وجدانه، أما الوجدان فقد أُعدّ له شيء آخر كي يُملأ به،.. إنه سيُملأ بأهل البيت، ولكن أيُّ (أهل بيت).. إنهم ليسوا أهل البيت عليهم السلام كما هم في الواقع ـ الأسوة والقدوة والدليل والمَثل الأعلى والمنار الهادي ونموذج الإنسان الكامل ودعاة العدالة الاجتماعية، وشهداء سبيل التوحيد، كلا.. بل أهل البيت وكما يفهمهم الغلاة (مقامات وأنوار وأفلاك وأسرار ووسائط فيض وكائنات مقدّسة فوق مستوى البشر وآلهة صغار وو... إلخ) وهكذا سيتحول الله سبحانه وتعالى إلى مجرد مفهوم ذهني جامد أو ميت، لا وجود له في وجدان الإنسان المسلم، بينما يمتلئ

هذا الوجدان بكائنات مقدسة تُسمى بأهل البيت وفي الواقع ليس لها أي علاقة بأهل البيت العظماء الأبرار الحقيقيين ﰂ.

ثم يأتي دور روايات الشفاعة، وبحسب فهم الغلاة طبعًا، ليتحول حبّ أهل البيت ﰂ إلى **(حسنة لا تضرّ معها سيئة)** حتى الكبائر، وكذلك الروايات التي تميّز الشيعة عن غيرهم من البشر باعتبار أن الشيعة قد خُلقوا من طينة أخرى غير طينة البشر وأنهم من فاضل طينة الأئمة ﰂ؛ ولذلك فإن الجنة مثواهم، عملوا بالشريعة الإلهية أم لم يعملوا، عرفوا لله حقه أم لم يعرفوا، .. المهم أنهم يحبون أهل البيت وإن كان بلا معرفة، فهذا كفيل بإدخالهم الجنة، وكان الله يحب المحسنين.

وهكذا تضمحلّ الشريعة الإلهية في عقل ووجدان الإنسان الشيعي البسيط، فمادام الحب وحده يمكن أن يدخله الجنة؛ فلا داعي إذن للتمسك بالشريعة، اذْ يُستبدل الله تعالى بأهل البيت وتُستبدل الشريعة والعقيدة بحب أهل البيت ﰂ، حيث تظافرت الروايات المجعولة في هذا المنحى لتؤكد بأن المهم هو الحب والموالاة لأهل البيت ﰂ والتبري من أعدائهم وليس أي شيء آخر.

هنا تتحول (الوسيلة) إلى (هدف) ويتحول أهل البيت ﰂ الذين هم سفن النجاة، إلى هدف، ويصبحون هم ميناء الحضرة الإلهية والقرب الإلهي، وهذا هو أخطر ما تمرّ به الرسالات والعقائد: أي تحوّل الوسيلة إلى هدف؛ فيتوقف السعي نحو التكامل والذي هو سنّة الله تعالى في البشر، بعد أن يجد الإنسان هدفه في قارب النجاة الذي كان من المفروض أن يقلّه إلى ميناء الرضا الإلهي ومرافئ الحضرة الإلهية. إن المراد من

الأئمة هو أن يكونوا الدليل على وجود الله تعالى والهداة إليه والدعاة والقادة إلى سبيله والمَثل الأعلى الذي يُقتدى به، لا أن يكونوا آلهة يفوّض إليهم الرزق والخلق والتحكّم بالأفلاك والأكوان ـ كما ستقرأ ـ.

ب ـ في الجانب الاجتماعي

إن انتشار الغلوّ سيؤدي إلى توالد مجموعة كبيرة من الظواهر والتقاليد والطقوس والأساطير التي تكرّس وتعمّق حالة التخلف في المجتمع، وتهبط به إلى أدنى الدركات في الهوس والغرائزية والسطحية. وساحتنا مليئة بهذه الظواهر المتخلفة، والتي تتوالد وتتكاثر ـ حسب نظرية (توالد الأساطير)، ـ والأمثلة أكثر من أن تُحصر أو تُعدّ[1].

وهذا ما يذكّرنا بنظرية (عدالة الصحابة) وكيف أن الغلاة من السُّنة والشيعة يتلقون في الغالب نتائج خاطئة في تقييم بعض الصحابة دون الالتفات إلى مقدماتها، فيكابر طرف في ذمّهم، ويكابر طرف آخر في تبرئة الطلقاء منهم، بل يتعسّف طرف في الاستدلال على فضل هؤلاء الطلقاء فيما يتعسّف

(1) نظرية توالد الأساطير مصطلح له صلة بعلم الاجتماع الديني، وقد تبنّاه بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين في تفسيرهم لظاهرة نشوء العقائد الجديدة. وخلاصته: إن العقل الشعبي مغرم باختلاق الأساطير، وإن هذه الأساطير تتحول بعد فترة من الزمن إلى عقائد، ثم تبدأ بالتفريخ من جديد لتنتج أساطير جديدة، وعقائد جديدة وهكذا إلى ما لا نهاية. ولا يغيب عن الذهن الشيعي مثلًا تحوّل مظلومية الزهراء عليها السلام إلى (أيام فاطمية) و(أيام محسنية) وتعقبها أو تسبقها أفراح وأعراس هشّة بائسة تسمى (فرحة الزهرة) يصل فيها الهوس إلى أدنى مستوى له في علم الاجتماع.

الطرف الثاني في تكفير بعض الصحابة بدل تخطئتهم أو نقدهم، لتنتهي القضية بالتمسّك بأحادية غير مقبولة اذْ يصبح التمسّك بالظني كالتمسّك بالقطعي، وللحد الذي يصل فيه غلاة الحنابلة مثلًا إلى التقليل من حق علي والغلوّ في فضل معاوية وبني أمية[1]، ويصل غلاة الشيعة في إعداد مجلدات كاملة في الطعن بالخلفاء الثلاثة الأوائل وتكفيرهم وتحت عنوان فائق صارخ يقول: «كفر الثلاثة وفضل لعنهم»[2].

ج ـ وفي الجانب السياسي

فإن تمزيق الوحدة الإسلامية، ودق إسفين من الأحقاد والعداوات بين السُّنة والشيعة لا يتأتى إلّا بتفعيل دور الغلوّ. وهذا يعني قتْل كل أمل بوحدة المسلمين ولو على مستوى الموقف من العدو الخارجي، وتعني أيضًا شحن النفوس وتهيئة الأرضية المناسبة لإدامة الحروب العبثية بين المسلمين، والتي لا يستفيد منها غير أعداء الإسلام من الصهاينة والصليبيين. ولا شك فإن من البديهيات التي يؤمن بها كل المسلمين شيعة وسنّة، أن إلههم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة ونبيهم واحد ومعادهم واحد وجنتهم واحدة، وأن كل الاختلافات

---

(1) راجع كتاب (**مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة**) تأليف حسن بن فرحان المالكي ـ العربية السعودية ـ سلسلة (**نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي**) ـ الطبعة الأولى 2002 م ـ ص 305، علمًا بأن هذا الكاتب المنصف يرد على هؤلاء في هذا الكتاب الذي هو قراءة نقدية هادئة وهادفة في هذا السياق.

(2) راجع **بحار الأنوار** للعلامة المجلسي المجلدان 30 و31 طبعات عديدة معاصرة في قم وبيروت ـ الطبعة الثالثة 1983م.

ضمن هذه الدائرة الأساسية تكون قابلة للحلّ والاستيعاب عندما تتنقّى النفوس وتتطهّر من دواعي الحقد الطائفي البغيض والكره التاريخي الأعمى.

الغلوّ إذن هو المحضن الذي تنمو فيه (الطائفية)، والطائفية هي السلاح الذي يُراد له أن يمزّق الوحدة الإسلامية، وهذا هو الهدف الأكبر لكل أعداء المسلمين، فالأعداء اليوم يطالبون برأس الإسلام كله ولا يميّزون بين الشيعة والسُّنة، ولذلك فإن معركتنا الكبرى في هذا الزمان هي تعميق الوحدة الإسلامية، لا بمعنى الذوبان في الآخر والتنازل عن الخصوصيات والثوابت، بل بمعنى وحدة الموقف ووحدة الخندق في ساحة المعركة ضد كل أعداء الإسلام، وتجميد بل إلغاء الصراعات الطائفية العبثية بين المسلمين، وحصر الخلافات في إطار البحث العلمي، وعدم السماح لها بالنزول إلى الشارع الإسلامي وتعبئة عوام الأمة بمفاهيم الانتحار الحضاري.

إن أخطر ما في هذه الأفكار المنحرفة هو تحولها إلى (أيديولوجيا)، وإن أخطر ما في هذه الأدلجة هو إلغاؤها للآخرين تكفيرًا وتفسيقًا، وقطعها أية إمكانية للحوار والتفاهم بين التيارات الثقافية في داخل الأمة، لأنها تختزن في داخلها معاني التخلف والتحجّر والاستبداد.

إن السماح للأفكار المنحرفة بأن تتحول إلى فرق وتيارات مؤدلجة، إنما يحمل (نذر الموت) للأمة وللمجتمع وللحضارة. ويكفي أن نتصور عالم الإسلام اليوم وقد تحكّمت فيه جهتان، (غلاة السُّنة) من عموم الوهابية والطالبان ومعهم النواصب أعداء أهل البيت الذين يرفعون شعار: (أن الشيعة

الغلاة يلعنون الصحابة المقدسين) ويؤلّهون أئمتهم فهم ملعونون إذن، ويجب استئصالهم. و(طالبان) الشيعة ومتحجّروهم من الغلاة الذين يرفعون شعار: (إن الصحابة المجرمين الكافرين ظلموا أهل البيت عليهم السلام) وبالتالي يجب لعن هؤلاء الصحابة وسبِّهم والتنكيل بمحبّيهم. هكذا يجد المسلم الواعي المصلح نفسه بين خندقين، خندق الغلاة وخندق النواصب.

إنّ لحظة تأمل عميقة لأمة وحضارة يهيمن عليها هؤلاء وهؤلاء لقمينة بأن ترسم لنا صورة مأساوية ومرعبة للمستقبل ولما ستنتهي إليه الأمور في هذه الأمة المبتلاة.

وهكذا يتبين لنا أن الغلوّ معول هدم لكيان الأمة وقوّتها ووحدتها، وعنصر تدمير لثقافتها وعقيدتها، فهو يدمر أهم دعامتين يقوم عليهما الإسلام: (كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة)[1] ولذا فيجب على كل العلماء العاملين وعلى كل مسلم سنّي أو شيعي حريص على دينه ومستقبل أبنائه، أن يدافع عن المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وأن يسعى لنشر الوعي العقائدي والفكري والتاريخي والسياسي من أجل محاصرة هذا الطاعون قبل أن يستشري في جسد الأمة ويحوِّلها إلى شبح أُمة، بعد أن يعطّل فيها كل الطاقات ويستهلك كل قواها في صراعات داخلية مميتة وعقيمة لا تخدم سوى مخططات أعداء الإسلام والمسلمين.

إن علاج هذا المرض الخطير إنما يكون (بتنقية تراثنا

---

(1) هذا الشعار رفعه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (قدس) قبل نصف قرن من الزمان.

الإسلامي ـ تاريخًا وتفسيرًا وحديثًا ـ) وتطهيره من سموم الغلاة وهرطقاتهم كي تكون الطريق ممهدةً للتقريب بين المذاهب ومن ثم للوحدة الإسلامية المنشودة.

وكذلك ضرورة الارتقاء إلى مستوى المسؤولية الشرعية والتاريخية، في التصدي لكل دعاة الفتنة، وفضحهم، وتوعية الأمة بأساليبهم وخطرهم، وإلّا فإن الطوفان قادم.. قادم.. لا محالة. ولقد أُعذر من أنذر.

وفي الختام وباختصار شديد، يمكن القول، إن هناك مخطّطًا كاملًا يجري تنفيذه موسميًّا لتفعيل أفكار الغلوّ عند السنّة والشيعة على حدّ سواء للقضاء على الإسلام والمسلمين من الداخل.

خلاصة هذا المخطّط هو تضخيم (رذائل) بعض (الصحابة) مقابل تضخيم فضائل الأئمة عليهم السلام، واعتبار الصنف الأول كائنات ممسوخة وشياطين ومجرمين قاموا بظلم كائنات مقدسة وملائكة وأنوار، يقابلهم جهلة أغبياء وحاقدون يسفّهون كلّ فضائل أهل البيت ويسطّحون (رذائل) بعض الصحابة تحت عنوان (تأوّلوا فأخطأوا). وبجمع الفضائل والرذائل مع مفاعيل الجمع (الظليمة) و(اللعن) و(التسطيح) تصبح المعادلة ذات أبعاد ثلاثة:

* ـ كائنات ممسوخة شيطانية ظلمت كائنات مقدسة إلهية وبالتالي يجب لعنهم ومواجهتهم.

* ـ غلاة مشركون يلعنون صحابة نجوم باعتبار الصحابة **(كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)!!**

* ـ وأخيرًا وليس آخرًا نواصب مغفّلون يناصبون العداء لأشرف خلق الله في تاريخ المسلمين، وبالتالي يجب فضحهم والتصدّي لهم.

وهكذا وببركة هذا الحصاد سنحفر قبرًا كبيرًا ندفن فيه الدعامتين اللتين يقوم عليهما الإسلام (كلمة التوحيد) التي هي ضمانة سلامة الأمة العقيدية والفكرية والروحية وصيانتها من الشرك الخفي والجلي، و(توحيد الكلمة) الذي هو ضمانة قوة وسلامة الأمة المادية ككيان ووجود مؤثر وفاعل في حركة الإنسان على ظهر هذا الكوكب.

وكل ذلك بسبب الغلوّ والتطرّف، إذْ تصبح المحصّلة النهائية عند غلاة الطرفين كما يلي:

إن الشيعي (مشرِك) وهذا يعني أنه أسوأ من النصراني أو اليهودي، وإنّ السنّي (ناصبي) وهذا يعني أنه أسوأ من الصهيوني أو الصليبي. وتصبح النتيجة في نهاية المطاف أنّ اليهود والنصارى أفضل من عموم المسلمين، وتلك هي الطامة الكبرى والطوفان الخطير[1].

(1) وهذا ما بدت راياته النحسة تطلع علينا هذه الأيام من الأفق البعيد.

أصـل البـحث

كلمة في البدء

شاء الله تعالى أن يُبقي الغيب وكلمة الغيب ومفهوم الغيب سرًّا من أسراره سبحانه وتعالى لا يُظهر عليه أحدًا من عباده (إلّا من ارتضى من رسول)، وشاء سبحانه أن يُبقي العقل البشري يسعى سعيًا حثيثًا لارتشاف شيئًا من هذا الغيب أو حيازة قبسٍ بسيط منه.

وحين يحنو الله تعالى تفضّلًا أو تكرّمًا على صنف من البشر، عَلمَ عزّ وجل فضلهم وجهادهم فاصطفاهم وتلطّف عليهم بكرامة هنا أو معجزة هناك، يروح العقل البشري هذا يتعاطى مع هذه الكرامات أو المعجزات ذات اليمين وذات الشمال، فمن الناس من ينكر هذه (الدلالات) الغيبيّة جملة وتفصيلًا، ويفسّر كل مظاهرها أو تمظهراتها أو ظواهرها على أنها أشياء لا أساس لها من الصحة ولا وجود، فيما يفرّط آخرون عكس ذلك تمامًا فيهبوا لهؤلاء المصطفين الأخيار ما لا يمكن أن يوهب، ويمنحونهم ما لا يمكن أن يُمنح، بحيث ينتزعون مختصات الله تعالى ويهبونها لهم، بلا كوابح أو حدود، فتضيع الحقيقة بين إفراط الصنف الأول وتفريط الصنف الثاني أو بالعكس.

وبكلمة أخرى انقسم الناس بين عالَم الغيب والمعجزات هذه إلى صنفين وانقسموا حول المتّصل بهذا العالم إلى

اتجاهين، فصنف يرى، أن التقليل من مقام المعصوم خلل عقائدي يجب التوفّر على علاجه والحدّ منه، مؤكِّدًا على وجوب النهوض بمهمة الدفاع عن المقام المقدس لهذا المعصوم أو ذاك وإظهار صفاته وكراماته ومعجزاته ردًّا على المقصّرين في هذا الفهم أو القاصرين عن الوصول إليه.

وصنف يرى أن هناك اتّجاهًا يتمسّك بقاعدة (نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم) ليقع في منزلقات الغلوّ وينداح مع العوام لإشباع غريزيتهم في إطلاق ما يشاؤون من نعوت وصفات على المعصوم ربما ما أنزل الله بها من سلطان، وبالتالي يجب التصدّي لهم وكبحهم وعدم الانجرار مع هرطقاتهم وتطرّفهم و(غلوّهم).

الأمر الذي نتمنّى الوقوف عنده في هذا البحث الموجز هو ألّا نجنح إلى أيّ من الصنفين، فنهبُ ما لا ولم يهبه الخالق لأناس أولياء نحبهم أو نعشقهم، هيامًا أو تهويمًا، أو على العكس نبخل على هؤلاء الأولياء بأن نبخسهم حتى ما وهبهم ربهم من كراماته ومعجزاته ليخرق بهم وبها مألوف الناس ويثبت كلمته على الملحدين، ويحقّ الحق على الماديين والمكابرين والمعاندين.

مدخل تمهيدي

يؤكّد القرآن الكريم في العشرات من آيات الله البيّنات على فكرة أنّ الله تعالى وحده خلق ويخلق جميع الكائنات، وهو وحده الرازق لجميع المخلوقات ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] ﴿إِنَّ

(1) سورة الأنعام، الآية: 102.

﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(1) و﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾(2) بدون أن يستعين بأحد و﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾(3) وأنه الوحيد الذي لا يموت ولا يفنى، بينما تفنى جميع المخلوقات ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝26 وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(4) وهو عزّ وجلّ الوحيد الذي يعلم الغيب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(5)، وهو الوحيد الذي يصنع القوانين والنواميس الطبيعية في هذا الكون ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾(6) ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾(7) ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾(8) ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾(9) ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾(10) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(11).

وتوّكد آيات كثيرة على أن الأنبياء كانوا أناسًا عاديين عاشوا وماتوا كباقي البشر إلّا في عظمتهم وأخلاقهم ورساليتهم الرفيعة. ويذكر القرآن الكريم بصورة خاصة نبيّ الإسلام ﷺ على أنه إنسان لا يختلف عن باقي الناس إلّا بنزول الوحي عليه

(1) سورة الذاريات، الآية: 58.
(2) سورة فاطر، الآية: 3.
(3) سورة الإسراء،الآية: 111.
(4) سورة الرحمن، الآيتان: 26-27.
(5) سورة الأنعام، الآية: 59.
(6) سورة الواقعة، الآية: 60.
(7) سورة يسٰ، الآية: 39.
(8) سورة الفرقان، الآية: 2.
(9) سورة عبس، الآية: 19.
(10) سورة المزمل، الآية: 20.
(11) سورة البقرة، الآية: 20.

لإبلاغه إلى البشر ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[1] وقد أمر الله تعالى نبيّه أن يؤكّد على بشريته تلك للذين طلبوا منه معجزة قبل الإيمان به ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ... أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ ... أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[2]... أو... أو.. ﴿...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[3].

ولم يُشر الكتاب الكريم إلى فكرة كون النبي ﷺ (كائنًا فوق البشر)، بل لم تظهر هذه الفكرة إلّا بعد وفاته ﷺ مباشرة. إذْ يروي لنا التاريخ أنه بمجرّد انتشار خبر وفاة الرسول ﷺ قال أحد الصحابه بأنه لم يمت وإنما غاب عن الأنظار وسيعود بعد ذلك ليقطع أيادي وأرجل الذين ادّعوا وفاته[4].

بعد ذلك جاء الغلاة زمن الإمام عليّ عليه السلام، ويحدّثنا التاريخ كيف أن بعضهم ألّه عليًّا، وأنه عليه السلام أراد منهم الكفّ عن ذلك، وعندما أصرّوا ورفضوا التوبة أمر بإحراقهم، وإنْ كان بعض المؤرخين يضعون هذه الرواية موضع شك، أي إنه سلام الله عليه لم ينفّذ أمر الإحراق واكتفى بالتحذير.

أما زمن الإمام الصادق عليه السلام فقد ظهرت فرقة من غلاة الشيعة سمّيت المفوّضة، وكانت تستقي أفكارها ونظرياتها من فرقة الكيسانية التي ترى أن آل محمد ﷺ هم موجودات فوق البشر، ذوو علم مطلق يشمل علم الغيب، ولهم القدرة على

(1) سورة الكهف، الآية: 110.
(2) سورة الإسراء، الأيتان: 90 ـ 91.
(3) سورة الإسراء، الآية: 93.
(4) **سيرة ابن هشام** 4: 305، **تأريخ الطبري** 3: 200.

التصرّف في الكائنات، إلّا أنّ هذه الفرقة لا تعتبر النبي والأئمة آلهة، ولكنها تعتقد أن الله تعالى فوّض إليهم أمور الكائنات من الخلق والرزق، وأعطاهم صلاحية التشريع، وبالتالي فإنهم من الناحية العملية يقومون بجميع الأعمال التي يفعلها الخالق، مع فارق واحد هو أن قدرة الخالق أصلية، بينما قدرتهم فرعية تابعة لقدرته. فالفرق بين هذه الفرقة وبين الغلاة الملحدين يتلخّص في أن هذه الفرقة ترى قدرة الأئمة في طول قدرة الخالق ـ حسب ما اصطلح عليه بعضهم ـ بينما الغلاة الملحدون يرونها في عرض قدرته. ويعتقد بعض آخر أن الإمام ـ كما يقولون ـ (بيمنه يرزق الورى) لا إنه (رازق الورى) أي إن الرزق يأتي ببركة دعائه وبركات وجوده وقربه من الله تعالى ومنزلته المعنوية الرفيعة.

وتدلّ الروايات التاريخية المؤكّدة أن الأئمة الأطهار، كانوا دائمًا وبشدة يردّون على الغلاة ويشجبون أفكارهم، ويرفضون أن تُنسب إليهم أية صفة فوق مستوى البشر. فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«الغلاة... صغّروا عظمة الله، فمن أحبّهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا...».

إلى أن يقول عليه السلام:

«من كان من شيعتنا، فلا يتخذنّ منهم وليًّا ولا نصيرًا»[1].

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال:

(1) توحيد الصدوق: 362، عيون أخبار الرضا 2: 203.

«الغلاة كفّار والمفوّضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوّج منهم أو ائتمنهم على أمانة، أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج عن ولاية الله عزّ وجلّ وولاية رسول الله وولايتنا أهل البيت»[1].

وعن الرضا عليه السلام أنه قال:

«من زعم أن الله عزّ وجل فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض، والقائل بالتفويض مشرك»[2].

وقد وقف علماء ورواة الحديث في مدرسة قم (القديمة) في أوائل القرن الثالث الهجري، يوم كانت قم مركزًا علميًّا رئيسيًّا للتشيّع موقفًا حازمًا أمام أفكار المفوّضة، اذْ حاولوا بكل ما أوتوا من قوّة التصدّي للتيار الجارف في أدبيات الغلاة التي انتشرت آن ذاك، وقرّروا وصم كل من ينسب للأئمة من أمور فوق مستوى البشر بـ (الغلوّ أو المغالي)[3] ومن ثمّ إخراجه من مدينتهم[4].

وهكذا أخرج من مدينة قم في النصف الأول من القرن الثالث عدد من رواة الحديث لنقلهم روايات من هذا القبيل[5]

(1) **عيون أخبار الرضا** 2: 202.
(2) المصدر السابق نفسه، 1: 117.
(3) انظر **بحار الأنوار** 52: 89.
(4) راجع كتاب (**تطوّر المباني الفكرية للتشيّع في القرون الثلاثة الأولى**) للدكتور حسين المدرّسي الطباطبائي، ترجمه عن الإنكليزية الدكتور فخري مشكور، الطبعة الأولى 1423، ص 59، فصل الغلوّ والتقصير.
(5) راجع **رجال الكشيّ** 512، و**رجال النجاشي** 38 و77، و**رجال ابن الغضائري** 3: 179.

وبديهي أن الإخراج من قم كان عقوبة على مجرّد رواية هذه الأحاديث، أما الاعتقاد بها فمسألة أخرى، إذْ كانت تُعتبر عندهم ـ طبق بعض الروايات عن أئمة الهدى ـ على حدّ الكفر، وقد تصل عقوبته إلى الموت[1].

ومن الناحية العملية فقد حاول القمّيون مرة قتل راوية يحمل هذه الأفكار ولكنهم أحجموا عن قتله عندما رأوه يصلّي[2].

وبقي علماء قم الذين كانوا أعلم مراجع الشيعة في القرن الرابع الهجري واقفين في وجه المفوّضة ويرفضون بشدّة إعطاء الأئمة أية صفة فوق مستوى البشر، وكانوا يعتقدون أن كل من يرى بأن النبي والأئمة الأطهار معصومون من الخطأ والسهو في تفاصيل حياتهم اليومية التي لا علاقة لها بتبليغ الرسالة الإلهية فهو مغالٍ[3]، ويعتبرون الروايات التي تنسِب تلك الصفات فوق البشرية للأئمة غير معتمدة[4].

أما عن علم الأئمة بالغيب أو أنهم أشباح وأنوار فقد نقل الشيخ المفيد ما نصه:

«وأما القول بأن أشباحهم عليهم السلام قديمة فهو منكر لا يطلق.

---

(1) راجع كتاب (**تطوّر المباني الفكرية للتشيّع في القرون الثلاثة الأولى**)، ص 58.

(2) **رجال ابن الغضائري** 5: 16، النجاشي 329، وهذا الرجل هو أبو جعفر محمد بن أورمة القمّي من رواة أواسط القرن الثالث الهجري، وله مؤلّفات منها كتاب في **ردّ الغلاة**.

(3) **من لا يحضره الفقيه** للشيخ الصدوق 1: 359 ـ 360.

(4) **بحار الأنوار** 25: 347.

والقديم في الحقيقة هو الله تعالى الواحد الذي لم يزل، وكل ما سواه محدث مصنوع مبتدأ له أوّل. والقول بأنهم لم يزالوا طاهرين قديمي الأشباح قبل آدم كالأول في الخطأ، ولا يقال لبشر إنه لم يزل قديمًا»[1]. وأضاف:

«فأما تكرار القول بأنه قد يصحّ أنهم أنوار، فقد قلنا فيه ما يكفي، وبيّننا أنه مذهب مردود»[2].

وراح الشيخ المفيد يفنّد دعاوى البعض بعلم الأئمة للغيب بقوله:

«وقد كان نبيّنا محمد ﷺ أفضل النبيين وأعلم المرسلين ولم يكن محيطًا بعلم النجوم، ولا متعرضًا لذلك، ولا يتأتّى منه قول الشعر، وكان أميًّا بنص التنزيل، ولما أراد المدينة استأجر دليلًا على سنن الطريق، وكان يسأل عن الأخبار ويخفى عليه منها ما لم يأتِ به إليه صادق من الناس»[3].

ثم علّق على قول السائل:

«قال السائل: الإمام عندنا (مجمع) على أنه يعلم ما يكون، فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول، وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بال الحسين عليه السلام صار إلى أهل الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه، وأنه مقتول في سفرته تلك؟ ولمَ لما حوصر ـ وقد

(1) **المسائل العكبرية**، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد رقم 6 ـ تأليف الإمام الشيخ المفيد، الطبعة الثانية بيروت 1993، ص 27.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 30.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 34.

علم أن الماء منه لو حفر على أذرع يسيرة ـ ولم يحفر؟ ولمَ أعان على نفسه حتى تلف عطشًا؟ والحسن عليه السلام وادعَ معاوية وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه؟ والجواب (أي جواب الشيخ المفيد) ـ وبالله التوفيق ـ عن قوله إن الإمام يعلم ما يكون بإجماعنا، أن الأمر على خلاف ما قال، وما أجمعت الشيعة قط على هذا القول، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحكم في كلّ ما يكون، دون أن يكون عالـمًا بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز. وهذا يُسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها»[1]. وأضاف:

«وأما القول بأنه يعلم كل ما يكون، فلسنا نطلقه ولا نصوّب قائله لدعواه فيه من غير حجة ولا بيان. ولا يكون بذلك (أي الإمام) ملقيًا بيده إلى التهلكة ولا معينًا على نفسه معونة مستقبحة في العقول»[2].

وفي رواية معتبرة في البحار يقول الراوي للإمام: «إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب، فقال الإمام: سبحان الله، ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلّا قامت. . . . لا والله ما هي إلّا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[3]. وفي رواية أخرى: «وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم قرأ الآية الكريمة:

(1) **المسائل العكبرية**، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد رقم 6 ـ تأليف الإمام الشيخ المفيد، الطبعة الثانية بيروت 1993، ص 69.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 70.
(3) انظر **بحار الأنوار**، ج25، ص293.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾[1].

أي إن الغيب الخاص بالله تعالى لا يعلمه إلّا المجتبى والمرتضى من الرسل، والأئمة ليسوا برسل قطعًا، فلا يصل علم الغيب إليهم من الله ابتداءً، وإنما إن وصل إليهم فمن رسول الله ﷺ، (وبعض الرسل وليس الجميع)[2].

(1) سورة آل عمران، الآية: 179.
(2) راجع كتاب (**مشرعة بحار الأنوار**)، تأليف آية الله الشيخ محمد آصف محسني قم الطبعة الأولى1423 ـ ج 1 ـ ص 459، 469، 470.

شيءٌ من التاريخ القريب

من الأمور المهمة التي أغلقت وتغلُق العقل البشري هي الإفراط والتفريط، ولعلّ قمة الإفراط والتفريط في العقل الشيعي هو ما شهده تاريخ التشيّع من غلوّ وغلاة ما زالت خيوطه تكشف عن نفسها في نسيج هذا العقل المتحرّك، وتحت أسماء ومسميات وعناوين وفرق ومذاهب بلغت من الكثرة والتنوّع قديمًا وحديثًا ما لا يمكن حصره في قائمة أو قائمتين.

الغلوّ لغةً (هو الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء... وغلا في الدين، أي جاوز حدّه، وفي التنزيل ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[1]... وقال بعضهم غلوتُ في الأمر غلوّا وغلانيةً وغلانيًا، أي جاوزت فيه الحدّ وأفرطتُ فيه)[2].

أما الغلاة في تاريخ التشيّع فهم جماعة «من المتظاهرين بالإسلام، وهم الذين نسبوا أمير المؤمنين علي والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوّة، وأضافوا لهم من الفضل في الدين والدنيا ما تجاوزوا فيه الحدّ وخرجوا عن القصد، وهم ضلّال كفار حكم عليهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق في النار، وقضى الأئمة عليهم السلام عليهم بالكفر والخروج عن الإسلام»[3].

---

(1) سورة النساء، الآية: 77.
(2) ابن منظور: **لسان العرب** ج 15 / ص 131
(3) الشيخ المفيد: **شرح عقائد الصدوق** ص 63

ويقال غلا ويغلو في القول إذا ارتفع عن الحدّ وجاوزه، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ...﴾(1).

والغلوّ نوعان: الأول غلوّ ساذج وبريء وغير هادف ويتأتّى عن انبهارٍ فائر أو اندفاع عاطفي تفرضه حالات آنيّة وطارئة يترشح عنها إعجاب زائد أو كراهية مفرطة ينتهيان إلى آراء ومواقف متطرفة لا تتناسب مع ما يقتضيه الحال والمآل.

والثاني: غلوّ واع هادف يأتي نتيجة تأملات ومعاناة فكرية عميقة في قضية دينيّة أو فكريّة يستهدف أصحابه من خلاله الوصول إلى أغراض معيّنة وتحقيق أهداف خاصة مبيّتة.

ولعلّ أهم دوافع الغلوّ أو أسباب نشوئه في العصور المتأخّرة هو الشطحات الفكرية والأزمات النفسية لدى بعض الناس وعدم إدراكهم لواقع الأمور، فضلًا عن تشبث بعض المحتالين والماكرين من الصنف الثاني لتحقيق أغراضهم الخاصة، اذْ بزعم التصاقهم بالأئمة وهيامهم فيهم والدعوة لهم، فإنهم يقصدون كسب الأنصار والمؤيدين من الأبرياء والبسطاء من عوام الصنف الأول، وتحشيدهم ضد خصومهم وأعدائهم.

وهكذا انقسم الغلاة في تاريخ التشيّع إلى أكثر من مائة وخمسين فرقة وكل فرقة تفسّر (حبّها) و(ولاءها) للأئمة على طريقتها الخاصة وتتّهم صاحبتها بالتقصير في هذا (الحب) أو التردّد في ذاك (الولاء).

---

(1) سورة النساء: الآية: 171.

وقد بلغ بعضهم أنْ وضعوا الأئمة في موضع الربوبية وقالوا بحلول الجوهر الإلهي أو النوراني فيهم، وحلّ اللاهوت في الناسوت تمامًا كما قال الغلاة من اليهود والنصارى في أحبارهم ورهبانهم(1).

ومن هؤلاء الغلاة، المفوّضة الذين قالوا إن الله خلق الأئمة ثم اعتزل تاركًا لهم خلق العالم وتدبير شؤونه، ومنهم من يُدين (بثالوث مقدّس) مكوّن من الأب وهو علي، والابن وهو محمد، وروح القدس وهو سلمان الفارسي، ومن طريف أقوال بعضهم: إن يوم الأحد معناه علي، وإن يوم الاثنين هو الحسن والحسين(2).

ومنهم من يفسر قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾(3) أن محمدًا ﷺ هو المدبّر الأول، وأنّ عليًّا عليه السلام هو المدبّر الثاني(4). ومن الفرق التي غالتْ في (عليّ) حتى عدّته نبيًّا أو إلهًا هي فرقة (الخناقية) الذين كانوا يخنقون من يُخالفهم ويعتبرون هذا العمل جهادًا خفيًّا(5). وهكذا فرقة (البشارية) الذين قالوا إن عليًّا هربَ من الربوبية واتّخذ له مكانًا في الأسرة العلوية الهاشمية(6)، وهناك فرقة (الشريعية) الذين زعموا أن الله تعالى حلّ في خمسة أشخاص هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وهؤلاء هم

---

(1) **موسوعة الفرق الإسلامية** / الدكتور محمد جواد مشكور ـ الطبعة الأولى 1995 ص 49.
(2) **الشيعة في الميزان**: محمد جواد مغنية ص 291.
(3) سورة النازعات، الآية: 5.
(4) **الفَرق بين الفِرَق**: الإسفرائيني ص 191.
(5) **موسوعة الفرق الإسلامية** ـ مصدر سابق ص 237
(6) المصدر السابق نفسه، ص 156.

خمسة آلهة لهم خمسة أضداد اختلفوا في تسميتهم[1]. وأشهر هذه الفرق الغالية: الغرابية وهي الفرقة التي تقول إن محمدًا ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وإن الله عزّ وجلّ بعث جبريل بالوحي إلى علي فغلط بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط[2].

وقال النوبختي في كتابه (فرق الشيعة): الغلاة هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الآلهة، وقال بعضهم لو شاء عليّ عليه السلام لأحيا عادًا وثمودًا وقرونًا بين ذلك[3] وأضاف «اتفق الغلاة على نفي الربوبية عن الجليل الخالق تبارك وتعالى، وإثباتها في بدن مخلوق، وذهبوا إلى أن البدن مسكن لله، وأن الله نور وروح ينتقل في هذه الأبدان»[4].

وقال أحد زعماء هذه الفرق: «إن الباري تعالى إنما خَلق الإنسان على شكل اسم أحمد، فالقامة مثل الألف، واليدان مثل الحاء والبطن مثل الميم والرجلان مثل الدال»[5].

ويمكن أن نثبّت عدّة قوائم لعشرات الفِرق الغالية التي ظهرت في التاريخ الشيعي وحُسبت عليه، إلّا أن الشيعة والتشيّع منها براء[6]، ومنها المنصورية والزرارية والشيطانية

(1) **موسوعة الفرق الإسلامية**، ص 306.

(2) كتاب **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: ابن حزم الأندلسي ج 4/ ص 183.

(3) **أصول التشيع**: هاشم معروف الحسني ص 270.

(4) النوبختي: **فرق الشيعة** ص 28.

(5) **الملل والنحل**/ ص 154 ـ 165 / والقائل هو أحمد بن الكيال زعيم الكيالية.

(6) ففي أمالي الطوسي بإسناد عن فضيل بن يسار قال: قال الصادق عليه السلام احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شرّ خلق الله يصغّرون عظمة الله =

والشميطيّة والسبعية والجناحية والذبابية والغرابية والنميرية والنصيرية والبيانية والرزامية وعشرات غيرها والتي هي في الحقيقة فصائل وطوائف و(قبائل) (سياسية) وعقيدية، أسسها أصحابها إما لفهم مبتور أو مصالح شخصية ودنيوية.

= ويدّعون الربوبية لعباد ، والله إن الغلاة لشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا... ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله، فقيل له، كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: الغالي قد اعتاد الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله أبدًا، وإن المقصّر اذا عرف عملَ وأطاعَ. (راجع **أمالي الطوسي**: 54).

كيف يستدل الغلاة على عقائدهم

يعتمد معظم منظّري وزعماء هذه التيارات والتوجّهات في الاستدلال على عقائدهم، وباختصار شديد على ما يلي:

أ ـ التفسير الباطني للقرآن

وهو موضوع لا يمكن التعويل عليه في المحاججة والمنطق، لأن القرآن الكريم حمّال وجوه فعلًا ـ كما يقول المفسّرون ـ وإنّ النصّ شيء وفهم النصّ أو توظيفه شيء آخر، وبالتالي فلا ينبغي الانجرار إلى ما يقوله بعضهم مثلًا في تفسيره لـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾[1] بأنهما الحسن والحسين، و﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[2] بأنهما علي والزهراء. وأنّ كلمة (كتابها) في الآية القرآنية ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[3] تعني الإمام عليّ عليه السلام[4]. وكذلك تفسيرهم لكلمات (القرآن والشفاء والرحمة) في الآية القرآنية الكريمة ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] بأن القرآن هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنّ الشفاء والرحمة هما علي وفاطمة أو الحسن والحسين.

(1) سورة التين، الآية: 1.
(2) سورة الرحمن، الآية: 19.
(3) سورة الجاثية، الآية: 28.
(4) **حياة النفس**: الإحسائي، و**أصول العقائد**: الرشتي: 152. 3 راجع المصادر المذكورة سابقًا.
(5) سورة الإسراء، الآية: 82.

أما تفسير الذبابة في الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾[1] فهو أشد وأدهى وما خفي كان أعجب. إذ يقول هذا المفسّر الكبير إنّ (الذبابة) هنا هو الإمام عليّ، وما فوقها هو (النبيّ)[2]. ترى إلى أين نحن ذاهبون مع هذه السفاسف والترهات وهذا الافتئات على النبي الكريم والإمام العظيم والقرآن الكريم.

أما حديثهم عن التفسير والتأويل ففيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيقول أحد زعماء هذه الفرق ما نصّه:

«إنّ الباري تعالى إنما خلق الإنسان على شكل اسم أحمد، فالقامة مثل الألف، واليدان مثل الحاء، والبطن مثل الميم، والرجلان مثل الدال»[3]. ـ كما مرّ ذكره ـ.

ب ـ الأحلام والإلهامات والمكاشفات

وهي مسائل لا يمكن الركون إليها في النقاش العلمي، وإنْ كان دعاة هذه الحركات يعتبرونها من صميم مساراتهم المعرفية وأصول منطلقاتهم الفكرية والعقائدية، بل حتى السياسية والاجتماعية. فقد يبنون علاقاتهم الشخصية على أساسها مع الأسف الشديد. وفي هذا خطر وخطر كبير كما هو معروف. وهناك روايات وحكايات يطول ذكرها ولا حدود لها ولا شواطئ، يتحّدث أصحابها وفي كتب ومدّونات لا يسع المجال لذكرها ولاسيما حين يتحدّث أحدهم كيف التقى الإمام الهادي

(1) سورة البقرة، الآية: 26.
(2) تفسير القمّي 1/ 35.
(3) النوبختي: **فرق الشيعة** ص 28. للمزيد من هذه التفاصيل راجع كتاب (**الغلوّ والغلاة ـ قراءة شيعية معاصرة**، مختار الأسدي) طبعة سنة 2004، ص56.

وزقّه العلم زقًّا في النوم وكيف التقى الآخر مع الإمام الحسن والثالث مع الباقر والرابع مع الصادق وما إلى ذلك مما يستوحيه هؤلاء ربما بقصد أو بدون قصد من هذه العوالم والأجواء. مثال على ذلك ما يرويه الشيخ كاظم الرشدي في كتابه (دليل المتحيّرين) عن أستاذه الإحسائي، حيث قال ما نصّه:

«إنّ مولانا رأى الإمام الحسن ﷺ ذات ليلة فوضع لسانه المقدّس في فمه، فمن ريقه المقدّس ومعونة الله تعلّم العلوم، فكان في فمه كطعم السكّر وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك، ولما استيقظ الصبح في خاصته محاطًا بأنوار معرفة الله، طافحًا بأفضاله، منفصلًا عن كل ما هو مغاير لله، وزاد في اعتقاده في الله نفس الوقت الذي ظهر في استسلامه لإرادة العلي. . . .»[1].

ج ـ انتقاء الروايات المتشابهة وتأويلها

إذ يقوم هؤلاء بتفسير الآيات القرآنية انتقائيًّا وبدون أي معيار وتأويلها حسب الظروف والمشتهيات، وخاصة بالموضوع المتعلّق بالإمام المهدي ﷺ وتفسير الآيات بصورة موجّه وتوظيفها توظيفًا اعتباطيًّا لا يخضع لأي معيار، وذلك للاستدلال على مزاعمهم ومدّعياتهم التي تخصّ قضية الإمام المهدي ﷺ مثلًا وتفسيرها بصورة موجهة وتوظيفها توظيفًا سياسيًّا أو اعتقاديًّا.

وإذا ضربنا أمثالًا على ذلك فالحديث يطول. ونكتفي بذكر ما صدر مؤخرًا في إيران وفي كتاب (مهم جدًّا!!!) جاء تحت عنوان (**المهدي في القرآن**) أحصى فيه صاحبه أكثر من 100 آية

(1) نقلًا عن نبيل زرندي: **مطالع الأنوار** ص 3 عن كتاب (**البهائية، من النشأة إلى التأريخ المعاصر**): د. فريد قطاط ص 30 ـ 31.

موزّعة على 45 سورة من سور القرآن الكريم يؤكّد فيها أنها نزلت في المهدي المنتظر، ومنها على سبيل المثال وليس الإحصاء:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾[1] و﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[2] و﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾[3] و﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[4] و﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[5] و﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾[6] و﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[7].

ويعني هذا الكاتب (النحرير) بـالخنّس والغيب واثنتا عشرة والركن الرشيد وثابت وطائره وآية وعشرات مثلها أنها تعني الحجة المنتظر وأتباعه وأنصاره وأوليائه[8].

د ـ ادّعاء اللقاء بالإمام المهدي عليه السلام

وهذا ما يزعمه زعماء هذه التيارات ويدّعون سؤاله والتلقّي منه والأخذ عنه، مع يقينهم أنّ الروايات الشيعية قاطبة والمأثورات الدينية كلّها، والموروث الديني بأسره، تؤكّد على عدم الرؤية، ومن زعم ذلك يجب تكذيبه بالنصّ المحكم المروي عن جميع مذاهب وطوائف وفرق أهل البيت عليهم السلام

(1) سورة التكوير، الآية: 15.
(2) سورة البقرة، الآية: 3.
(3) سورة البقرة، الآية: 60.
(4) سورة هود، الآية: 80.
(5) سورة إبراهيم، الآية: 24.
(6) سورة الإسراء، الآية: 13.
(7) سورة الشعراء، الآية: 4.
(8) راجع كتاب (**المهدي في القرآن**) ـ الطبعة الأولى ـ سنة 1423 الناشر: برهيزكار ـ قم. وقد جاء الكتاب بطبعة أنيقة وحلّة رفيعة تفوق الوصف في 152 صفحة بالحجم الكبير.

واتّجاهاتهم ومشاربهم. (وكلّ من ادّعى الرؤية فكذّبوه) ـ حسب النصّ المروي من قِبل الجميع وبدون استثناء ـ .

أما أهم مصادر المعرفة والفكر الديني والعقيدي المعتمدة عند هؤلاء فهي:

1 ـ التأويل الباطني للقرآن، حيث تؤوّل الآيات حسب الأهواء وليس وفق ضوابط التفسير وعلوم اللغة والحديث وباقي العلوم الشرعية، معتمدين في ذلك على حديث يقول (إن للقرآن ظاهرًا وسبعون باطنًا) علمًا بأن هذا الحديث ـ إنْ صحّ ـ فالذي يَعرف ظاهر القرآن من باطنه هم العلماء والمجتهدون والمفسرون وذوو الاختصاص من أصحاب المعرفة والكفاءة في هذه العلوم، وليس أشخاصٌ مغمورون ومجهولون تحوم حولهم الشكوك والشبهات، ولهم في ماضيهم وحاضرهم ما يُلاك على ألسنة الناس قدحًا وذمًّا وتعريضًا.

وهم برفعهم لشعار (السبعون باطنًا) إنما يُطلقون العنان لأنفسهم كي يصولوا ويجولوا ويُحرّفوا الكلم عن مواضعه، ويؤوّلوا بما تشتهيه أنفسهم من غير رقيب ولا حسيب، فتكون ليلة القدر هي (فاطمة الزهراء عليها السلام) مثلًا، ويكون مرج البحرين يلتقيان (علي وفاطمة) ـ كما ذكرنا سابقًا ـ وتكون الشمس وضحاها (النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) والقمر إذا تلاها (علي عليه السلام) والنهار إذا جلاها (الحسن والحسين عليهما السلام) والليل إذا يغشاها هم (الأمويون)، وهكذا إلى ما لانهاية له من هذه السفاسف والخزعبلات التي ما جاء بها القرآن الكريم ولم يوردها تفسير محترم، ولم يجرؤ على ذكرها مفسّر يحترم نفسه ودينه وقرآنه.

2 ـ اقتناص الروايات العامة والمتشابهة حول قضية الإمام المهدي ليقوموا بتوظيفها بالاتجاه الذي يريدون للاستدلال على مدعياتهم، وهو ما ضربنا بعض الأمثلة عليه ونضيف استشهادهم بأمثلة أخرى حيث يزعمون فيها أنّ كلمة (حظًّا) في الآية الكريمة ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[1] هي الإمام المهدي، وأن عبارة **(اثنا عشر شهرًا)** في الآية الكريمة ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[2] يُقصد بها الأئمة الاثنا عشر ومنهم المهدي طبعًا. وإنّ كلمة (الغيب) التي وردت كثيرًا في القرآن الكريم يُقصد بها (المهدي) بقول أحدهم:

«**فالله تعالى غيب مطلق، لأنه لم، ولا، ولن يُرى، والعلم الذي لا يَعلمه الناس غيب، والروح الذي لا يحسّون به غيب، والحجة الغائب حيث لا يراه الناس رؤية معرفة فهو أيضًا غيب. وأخيرًا ـ والكلام كلّه هنا لهذا (الحبر الفهامة) وأي مانع من أن يكون تأويل هذه الآية في الإمام الحجة القائم** عليه السلام»**!!!**[3].

وقوله الآخر في تأويل آية ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾[4] بأنها «شاملة ومنطبقة بقرينة الأحاديث الشريفة على عهد الرجعة وظهور المهدي المنتظر عليه السلام»[5]. وهكذا كلمة (نبأه) في الآية الكريمة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[6] التي

(1) سورة المائدة، الآية: 14.
(2) سورة التوبة، الآية: 36.
(3) راجع كتاب **(المهدي في القرآن)** مرّه ذكره ص51، وما قبله الصفحات 30 و43.
(4) سورة الحج، الآية: 7.
(5) راجع كتاب **(المهدي في القرآن)** مرّه ذكره ص51، وما قبله، ص83.
(6) سورة ص، الآية: 88.

هي «نبأ القائم عند خروجه» ـ حسب تعبيره ـ الذي نقله عن (ينابيع المودة)[1]. ومثل ذلك عشرات الآيات الكريمة التي (أوّلها) أنها قصدت المهدي عليه السلام وأتباعه ومؤيّديه . . . حتى وصل الأمر أنْ يبدأ روّاد هذه الحركة يؤوّلون هذه الآيات وغيرها بأنها تقصدهم لأنهم الأولياء، وزعيمهم (المولى المقدّس) وقائدهم (المولى) وهكذا مما لا رأس له ولا ذيل ولم يأت في تفسير حكيم.

3 ـ الاستناد على الدعاوى المغالية مثل الخطبة التطنجية أو خطبة البيان المنسوبة إلى الإمام عليّ عليه السلام، وهي خطبة ظاهرة في الغلو والشرك، إذ ترتفع بالإمام عليّ عليه السلام إلى درجة الألوهية حاشاه سلام الله عليه من ذلك وعلا علوًّا كبيرًا، وقد كانت هذه الخطبة ومنذ القدم رافدًا يتيمًا من روافد الغلوّ والغلاة ومصدرًا لأفكار الفرق المنحرفة والمغالية. وقد أعلن معظم العلماء ومراجع الدين، وأخيرًا السيدين الخوئي رحمه الله والسيستاني **(حفظه الله)**، أنْ لا صحّة لنسبة هذه الخطبة إلى الإمام عليّ عليه السلام وهي من موضوعات الغلاة ـ حسب وصفهما ـ.

4 ـ يبدو أن الأثر الصوفي والعرفاني واضح التأثير في أدبيات هذه الحركة وأفكار منتسبيها ومناهجهم، فهم يستدلّون على عقائدهم بالمكاشفات والأحلام والإلهامات وغيرها من الأدلّة غير القابلة للإثبات، وبذلك فإنهم يخالفون المنهج العرفاني الصحيح الذي يُفضي إلى تعميق الإيمان بالله عزّ وجلّ والالتزام بالشريعة المحمدية السمحاء، والزهد في

(1) راجع كتاب **(المهدي في القرآن)** مرّه ذكره ص51، ص112، نقلًا عن ينابيع المودة ص 519.

الدنيا، والترفّع على حطامها الزائل الفاني حبًّا في الله وطمعًا في رحمته وجنانه، وليس لكي يتحوّل هذا المنهج على أيديهم إلى منهج للشرك وتبنّي نظرية (الاتحاد و الحلول)، وبالتالي إسقاط التكاليف الشرعية بدل تعميقها، وإشعال الفتن بين أبناء الأمة وتنفيذ مخطّطات الأعداء والمتربصين، وإسقاط العملية السياسية والحكومة الشرعية المنتخبة، بدل الزهد في الدنيا وتقوى الله وسلوك الطريق المستقيم.

5 ـ تعتبر (الموسوعة المهدوية) للسيد الشهيد محمد الصدر (قدس سرّه) مصدرًا رئيسيًّا لأفكارهم العقائدية حيث حاولوا توظيف بعض الأفكار الواردة فيها توظيفًا سيئًا لم يقل به صاحبها ﷺ لا من قريب ولا من بعيد، فيقتنصون عبارة من هنا، وجملة من هناك، وبشكلٍ مبتسر، وانتقائية متعسّفة تبتعد كل البعد عن البحثٍ العلمي والمتابعة المسؤولة التي انتهجها السيد الشهيد.

6 ـ أما ادّعاء اللقاء المباشر بالإمام المهدي والأخذ عنه فتدعوهم إلى أنهم، في هذه الحالة يصبحون في غنًى عن القرآن والحديث، وحتى الأحلام والكشوف والتفسيرات والتأويلات والظاهر والباطن. وبالتالي فالقضية محلولة عند زعمائهم ما داموا يلتقون بالمعصوم ويأخذون عنه. وهذا هو أخطر ادّعاء، وأجرأ خرق للثقافة الشيعية الرصينة والفكر الإسلامي المتين في العصر الحديث.

وينتهي هؤلاء في نهاية المطاف إلى الاستنتاجات التالية:

أولاً: إسقاط التكاليف

العجيب الغريب، بل المريب في أصحاب هذه العقائد أنهم يؤمنون بأن وصولهم إلى درجة اليقين يوجب سقوط التكاليف عنهم، وفي الحقيقة ليس هناك من دليل على ما يقولون غير الأهواء النفسية

والعقائد المنحرفة. وإلّا فإن الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ الذي يعتبرونه قدوتهم ويعتبره المتصوفة رائدهم هو القائل (والله لو كُشف لي الغطاء ما ازددتُ يقينًا) ويعني أنه قد وصل إلى أعلى درجات المعرفة بالله تعالى، ومع ذلك كان ـ سلام الله عليه ـ وحتى يوم شهادته مِنْ أكثر الناس بعد رسول الله صلاةً وصيامًا وعبادة وامتثالًا لأوامر الله ونواهيه. بل روي أنه ﴿عليه السلام﴾ ما كان يشعر بالأشياء من حوله إذا ما كان قائمًا في محراب الصلاة. هذا الإمام العظيم لم تشغله حالة اليقين عن عبادة الله، بل زادته تمسّكًا بها، وهؤلاء الأئمة من ولده ﴿عليهم السلام﴾، جميعهم هم قمم الالتزام بالعبادات وحثّ الناس عليها. بل كانت آخر وصاياهم لأتباعهم ضرورة المواظبة على العبادات. ولعلّ إمامنا علي بن الحسين ﴿عليه السلام﴾ خير مثال على ذلك، حيث يصفرّ وجهه عند القيام للصلاة كما يقول التاريخ، وهو الذي أصبح مثلًا أعلى في عبادته حتى سُمّي بـ(زين العابدين).

ولو عُدنا إلى المدرسة التي ينطلق منها دعاة (السلوكية) وهي مدرسة (التصوّف والعرفان) لوجدنا أنّ العرفاء الحقيقيين يزدادون التزامًا بعباداتهم كلّما ازدادوا انغماسًا واندكاكًا بعرفانهم. ولعلّ المرحوم آية الله السيد عبد الأعلى السبزواري والسيد الشهيد محمد الصدر والإمام الخميني وكثيرون غيرهم من أهل العرفان مصاديق على ما نقول.

ولم نسمع بأحد يقول يومًا بأنّ الوصول إلى درجة اليقين يوجب إسقاط التكاليف، إلّا ما كانت تفعله (فرق الغلاة) في القرون الماضية، وهو ما ثبت فساده وتمّ قبره وجرت اللعنة على مَن سنّه.

نعم هناك نوعان من التصوّف، (التصوّف الشرعي المعتدل) الذي يربّي الناس على تهذيب النفس والإخلاص في

العبادة والترفّع على حطام الدنيا وملذّاتها وشهواتها، و(التصوّف المنحرف الشركي) المتأثّر بعقائد الديانات السابقة والأمم المشركة القائم على التماوت وترْك العمل والتخلّي على المسؤولية والانكفاء على الذات، الذي يرفضه الإسلام جملة وتفصيلًا. وفي ذلك حديث لا يسعى المجال للإفاضة فيه.

ثانيًا ـ إكثار الفساد للتعجيل بظهور المهدي

وهذه قاصمة الظهر ـ كما يُقال ـ ، وهنا نتساءل: أين عقولهم؟ أين الفطرة السليمة؟ كيف يُطاع الله من حيث يُعصى؟ ثم هل يُعقل أنْ يكون ظهور المهدي عليه السلام ظهورًا ارتجاليًّا تضطره إليه ردود أفعال على ممارسات منحرفة لبضعة آلاف من البشر أو من الشيعة؟! أم أنْ ظهوره عجّل الله تعالى فرجه لنْ يتمّ إلّا وفق مخطّط كوني شامل رسمت القدرة الإلهية معالمه، كما رسمت آفاق النبوّات، وحدّدت أزمانها، وبحكمة العليّ القدير العزيز الحكيم.

ثم إنّ الفساد المقصود هنا هو الفساد بمعناه العام الذي يشمل الفساد الأخلاقي وغيره، أي الفساد الحضاري والبشري عمومًا ـ إذا جاز التعبير ـ ، أو هيمنة القوى الطاغية والمتجبرة على مصير البشرية، واليأس بالكامل من إمكانية الإصلاح إلّا بمعجزة المنقذ أو المخلّص أو الموعود الذي بشّرت به جميع الأديان، وآمن بل يؤمن بمقدمه الحتمي كل أصحاب الديانات السماوية وإنْ اختلفت الأسماء والمسميات.

أسباب الغـلوّ

يمكن حصر أهم أسباب الغلوّ بما يلي:

1 ـ انشداد العديد من الأقوام أو تعلقّهم بتقاليدهم الدينية، ومن بينهم الشيعة وخاصة ما ورثوه من بيئاتهم المختلفة كالمجسمة من اليهود، والمؤلّهة من النصارى الذين مزجوا بين اللاهوت والناسوت، أو الذين آمنوا بالتناسخ والحلول.

2 ـ الظلم الذي حلّ بآل البيت عليهم السلام والذي دفع جماعات منهم للمغالاة بحقهم، وتضخيم مشاعر التعاطف معهم للحد الذي أخرجوهم عن حدودهم البشرية. وخاصة أولئك المتقاعسين الذين لم ينصروا أئمتهم في حياتهم فغلوا بهم بعد مماتهم.

3 ـ الوسط الفكري المضطرب واشتداد الصراع السياسي، وهو ما حدث يوم وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين أنكر عمر بن خطاب مثلًا وفاته وتوعّد بقتل كل من يقول بوفاته[1]. وهذا هو الظاهر، أما الباطن السياسي فلعله

(1) راجع **كنز العمال** 7 / 232 وكيف رَدّ عمر على من قال (مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وقوله: (ما مات رسول الله ولكنك رجل تحتوشك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يفني المنافقين). أو قوله الآخر الذي ورد في شرح مسند أبي حنيفة، ملا علي القاري ص303 والذي جاء نصه: (لا أسمع رجلًا يقول: مات محمد إلّا ضربته بالسيف). ومثل ذلك في **تاريخ الطبري** 2 / 443، **والبداية والنهاية** 5/ 262، **والفصول المختارة** للشيخ المفيد ص240 الذي أورد نصًّا مفصلًا لعمر جاء فيه: =

يخفي وراءه ما يخفي، وهكذا تبرز الخصومات المذهبية والتناحر العقائدي فيتلبس الناس بهذا اللباس الديني أو ذاك لتمرير مصالح عاجلة أو تجنّب صدامات دموية مؤذية.

4 ـ الأمن من سطوة الحكام الظلمة، حيث يبتعد الغلاة عن مواجهة هؤلاء الحكام، وينأوون بعيدًا عن عالم السياسة، ويروحون منشغلين بسفاسف الغلوّ وترّهاته، الأمر الذي يشجعه الحكّام أنفسهم طبعًا، حيث ينصرف الناس بعيدًا عن التفكير بأمورهم الحياتية والمعاشية تاركين للحكّام عالَمهم غارقين فيه أي في ملذاتهم وشهواتهم، وهذا ما فعله فعلًا حكام الدولتين الأموية والعباسية حيث تركوا الوعاظ يقصّون الأقاصيص والحكايات في المجالس وتجمعات الذكر بلا حسيب ولا رقيب.

5 ـ الهروب من العبادات والركون إلى اللهو والدعة وطلب العافية بإيجاد بدائل باهتة من أقاصيص وحكايات لا قيمة لها في الواقع ولا علاقة لها مع هموم الناس وآلامهم وآمالهم، وبحجة أن هذا الإمام أو ذاك فوق البشر وأن له كيانًا ذاتيًّا خاصًّا لا يمكن أن يرتقي إليه أحد في سلوكه، فيُكتفى (بحبّه) فقط دون (معرفته) أو الهيام فيه دون الاقتداء بسيرته. وخاصة في مسائل البذل والتضحية، أو الاستشهاد في سبيل القيم والمبادىء.

6 ـ فرض الهيمنة والوجاهة بافتعال علاقة وهمية مع هؤلاء

= (... والله لا أسمع أحدًا يقول مات رسول الله ﷺ إلّا قتلته، إنّ رسول الله لم يمت، وإنما غاب كما غاب موسى عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعنّ رسول الله ﷺ إلى قومه كما رجع موسى إلى قومه وليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم...). راجع كذلك **سيرة ابن هشام** 4: 305 و**تأريخ الطبري** 3: 200.

الأئمة وإضفاء الكرامات والمعجزات عليهم، وأنهم يفيضون على محبيهم من هذه الفيوضات والإشراقات، فيصبح هذا الدعيّ (باب) هذا الإمام، وذاك (بهاءه) وثالث وكيله وهكذا ـ كما سنرى ـ[1].

ولعلّ أخطر ما في منهج الغلوّ هو تبرير الغلاة لمعاصيهم وذنوبهم بحجة أنهم لا يستطيعون الارتقاء إلى رتبة الأئمة المعصومين الذين، عصْمتهم ذاتية! أي من عند الله وأنهم فوق مستوى البشر!

وحين يسلب الغلاة بشرية الأئمة سلام الله عليهم أو كما يقول أحدهم إن السيف لا يمضي في جسد الإمام في محاولة فارغة لاختراع كرامة أو معجزة مجعولة، فإنه ومن حيث يدري أو لا يدري لا يُبقي لهذا الإمام كرامة باعتباره لا يستطيع أن يذنب بالطبع! وأن قوّته خارقة، والسيف لا يمضي في جسده، وبالتالي فإنه ليس شجاعًا وقد يكون الذئب أو الجدار في نهاية التحليل أشجع وأتقى وأقوى من الإمام عليه السلام، أعاذنا الله من

---

(1) مثل البابية و(البهائية) في الوقت الذي يؤكّد الأئمة عليهم السلام أن شيعتهم هم (أهل الهدى وأهل التقى وأهل الخير وأهل الإيمان، وأهل الفتح والظفر) ـ **الكافي** ـ الكليني 2/ 233. وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن اسماعيل، عن ... عن مفضّل أنه قال:
قال أبو عبد الله عليه السلام: (إيّاك والسفلة فإن شيعة عليّ من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر) وأخرى مثلها في المصدر نفسه عن أبي عبد الله عليه السلام أيضًا أنه قال:
(إن شيعة عليّ كانوا خمص البطون ذُبُل الشفاه، أهل رأفة وعلم وحلم، يُعرفون بالرهبانية، أعينوهم على ما هم عليه بالورع والاجتهاد...).

هذا الإسفاف أو هذا الهراء، وأعاذ أئمتنا عليهم السلام الذين حُزّ وريد عظيم منهم حزًّا، وكلهم عظماء، ونقصد الإمام الحسين عليه السلام الذي حزّ وريده واقتُطع رأسه حتى داست الخيل صدره، ولم يجد لنفسه ولعياله نفعًا ولا ضرًّا دون إرادة الله عزّ وجلّ.

الفرق المعاصرة

أما الفرق المعاصرة فإن خيوطها ما زالت ـ كما قلنا ـ تمتد في النسيج الشيعي فأتت على التشيع قتلًا واغتيالًا بعد أن أخذ الغلوّ منها مأخذه، فراحت تزعم ما لا يصدّق وتدّعي ما ليس في الإسلام ولا في التشيّع فانحرفت وزاغت، وخرجت عن أصول التشيّع الحق، وأهم هذه الفِرق وبمرور سريع عليها هي:

الشيخيّة

وهي فرقة معاصرة من فرق الشيعة اشتقت اسمها من الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي المولود عام 1157 هـ (1743 م). وعُرف بالبحراني نسبةً إلى البحرين التي نشأ فيها وتلقّى فيها مبادىء العلم قبل أن ينتقل إلى العراق لاستكمال دراسته الدينيّة، ومن العراق إلى إيران متنقلًا بين يزد وقزوين وأصفهان وطهران. وعُرفت الشيخية باسم (الكشفية) أيضًا نسبةً إلى مزاعم مؤسسها في كشف الأسرار ورفع الغشاوة بما ينير البصائر[1].

حقّق الشيخ الإحسائي مكاسب هامّة خلال إقامته بمدينة

---

(1) **القاموس الإسلامي** ج 4 / ص 207.

يزد التي يكثر فيها أصحاب الديانة الزرادشتية، وتمكّن من كسب مودّة الشاه فتح علي القاجاري الذي كان ملكًا ساذجًا بسيطًا يؤمن بالأساطير والخرافات والتنجيم، فأفاض عليه الحدب والعناية السلطانية، الأمر الذي وفّر له مزيدًا من الطمأنينة والراحة والاستقرار حتى خاطبه يومًا قائلًا بعد البسملة والحمد:

«... **أما بعد، يقول العبد المسكين أحمد زين الدين، وردتْ عليّ من الناحية الرفيعة والجهة المنيعة إلى ناحية الجناب المكين حامي الملّة والدين طالب الحقّ واليقين، وجامع كل زين، سلطان البرّين وخاقان البحرين، حافظ الأمان وحارس أهل الإيمان عالي القدر والشأن، وسامي الرقية والمكان، السلطان بن السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان بن الخاقان...**»[1].

ولما كان (الخاقان ابن الخاقان) هذا مُعجبًا بالرجل كان كثيرًا ما يوجّه إليه أسئلته واستفساراته (المهمة جدًّا) ومنها: «الاستفسار عن كيفية نكاح أهل الجنة، وهل يمكن لأهل الجنة أن يتزوجوا أكثر من أربع نساء؟ وكيفية الموت؟ وهل الحشر بالأرواح أم بالأجسام؟ وهل نعيم الجنّة مثل نعيم الأرض»[2] وأمثال ذلك من أسئلة البطر والترف.

وبعد محطة يزد هذه، انتقل الشيخ إلى كرمنشاه التي

(1) أحمد الإحسائي ـ **الرسالة السلطانية** ص 244 من المجلّد الثاني من مجموعة **جوامع الكلم** ـ طبع حجري تبريز 1276 هـ.

(2) أحمد الإحسائي ـ **الرسالة الخاقانية** ـ المجلد الأول من مجموعة **جوامع الكلم** ص 120 ـ 130 خط أحمد بن محمد خوشنويسي تبريزي ـ تبريز.

تقع في مفترق جميع الطرق البرية حيث يمرّ سكان فارس والقوقاس وأفغانستان وآسيا الوسطى لزيارة العتبات المقدسة الشيعية في العراق.

ومنها انتقل إلى كربلاء لعلّه يحقّق نجاحًا أكبر هناك ولكنه اصطدم بتصدي الشيخ تقي القزويني له، ففنّد مزاعمه ودعاواه، وهكذا علماء الشيعة في كربلاء، فاضطر إلى الفرار من هذه المدينة بعد أن زرع بذرة (البابيّة) فيها عبر تلميذه الشيخ كاظم الرشتي.

تقوم فكرة الشيخية بالأساس على أن الأئمة الاثني عشر هم العلّة المؤثرة في وجود المخلوقات، وهم مظهر الإرادة الإلهية والمعبّرون عن مشيئة الله ولولاهم لما خلق الله شيئًا، ولذلك فهم الغاية من الخلق، وكلّ ما يفعله الله فهو يفعله بواسطتهم، ولكن ليس من ذاتهم، وهم مجرد وسائط[1].

كما يعتقد الشيخية أن أصول الدين أربعة هي: التوحيد والنبوّة والإمامة والركن الرابع. ويعتقدون أن الركن الرابع هذا هو معرفة الشيعي الكامل، وهو الناطق الأول والواسطة بين الشيعة والإمام الغائب، إذْ يأخذ الأحكام من الإمام بدون واسطة ويوصلها إلى الآخرين[2]. ويتمّ ذلك في الغالب عن طريق المنام والأحلام وانكشاف الواقع لهم بشكل خاص، ويأتي عبر اختراق عالَم الغيب ومعرفة الحقائق منه بصورة مباشرة.

(1) **دائرة المعارف الإسلامية** للمستشرقين ج 14 طبعة دار المعرفة ـ بيروت ص 12.

(2) **موسوعة الفرق الإسلامية** / مصدر سابق ـ موضوع الشيخية ص 321. هذا وقد حدّثني رجل ثقة أن أحد مسؤولي دولة إسلامية يستشير أحد هؤلاء المعروفين بالكشف في قضايا مهمة ومصيرية تخصّ أبناء بلده وشعبه ومشاكلهم.

يروي الشيخ كاظم الرشتي في كتابه (دليل المتحيّرين) عن أستاذه الإحسائي ما نصّه: «**إن مولانا رأى الإمام الحسن** عليه السلام **ذات ليلة فوضع لسانه المقدّس في فمه، فمن ريقه المقدّس ومعونة الله تعلّم العلوم، فكان في فمه كطعم السكّر وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك، ولما استيقظ الصبح في خاصته محاطًا بأنوار معرفة الله، طافحًا بأفضاله، منفصلًا عن كل ما هو مغاير لله، وزاد في اعتقاده في الله في الوقت نفسه الذي ظهر في استسلامه لإرادة العلي...**»(1) أي إنهم لا يتعلّمون عن طريق البحث والتحقيق وبذل الجهد، وإنما عن طريق الإلهام والكشف وما يسمّى بـ (العلم اللدني).

ويضيف الشيخ الإحسائي متحدثًا عن نفسه:

«**ومنذ ذلك الحين أصبحتُ أرى في النوم أشياء غريبة في السماوات والأرض. أصبحتُ أرى الجنان والنار، وأصبحتُ أرى العوالم المرئية واللامرئية. أصبحتُ أرى أشياء تصدم العقل، وكنتُ ألتقي في معظم الليالي مع الأئمة، فكنتُ أسألهم ويجيبوني، ولو استفقتُ أثناء الرؤيا فإنه يكفي لأنام من جديد لكي تُستأنف الرؤية من حيث توقفت**»(2).

ويذكر الشيخ الإحسائي أنه حدث بينه وبين الشيخ ابن عصفور خلاف علمي، ويقول:

«فذهبتُ ليلًا لملاقاة الإمام العاشر، علي بن محمد الهادي واشتكيتُ له من الناس فقال لي: إذن ففارقهم واهتمّ بشؤونك

---

(1) نقلًا عن نبيل زرندي ـ **مطالع الأنوار** ص 3 عن كتاب (**البهائية، من النشأة إلى التأريخ المعاصر** ـ د. فريد قطاط ص 30 ـ 31.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 36.

الخاصة... ثم أعطاني عددًا من الصفحات، وقال: هذه الإجازات الاثنتي عشرة، فأخذتُها وفتحتها وقرأتُ ما فيها فكانت ورقة تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم وتحتوي على إجازة من لدن أحد الأئمة الاثني عشر، وكانت إحداها تشيد بخصالي وتتحدث عن عظمتي حتى أنني لم أستطع تصديقها، لأنني لم أكن أهلًا لذلك...»[1].

ومن معتقداتهم أنهم يُفسرون آيات القرآن الكريم تفسيرًا باطنيًّا لتأييد وجهة نظرهم، كتفسيرهم لقوله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[2]، بأن المقصود من القرآن هو محمد ﷺ، وما هو شفاء ورحمة، إنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام[3].

ويفسرون قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[4] بأن الكتاب هنا هو عليّ بن أبي طالب، وإن أعمال الخلائق في الدنيا تُعرض عليه يوم القيامة[5].

ويرى المؤرخون أن الإحسائي قد بالغ في تهويماته وأطلق جملة من العبارات والمعميات لا يفهمها غيره، كما ادّعى الكشف والإلهام، ومثال ذلك الجملة التالية الواردة في كتابه (الكواكب الدرية) نقلًا عن كتاب الرشتي الشهير (شرح القصيدة) التي جاء فيها:

---

(1) نقلًا عن نبيل زرندي ـ **مطالع الأنوار** ص 3 عن كتاب (**البهائية، من النشأة إلى التأريخ المعاصر** ـ د. فريد قطاط ص 36.

(2) سورة الإسراء، الآية: 82.

(3) **حياة النفس ـ الإحسائي وأصول العقائد** / الرشتي: ص152.

(4) سورة الجاثية، الآية: 28.

(5) **حياة النفس ـ الإحسائي وأصول العقائد** / الرشتي، ص255.

«الحمد لله الذي طرّز ديباج الكينونة بسرّ البينونة بطراز النقطة البارزة عند الهاء، بلا إشباع ولا انشقاق...»[1]. وأمثال هذه العبارات التي تبعث على السخرية والاستهزاء بعقل السامع والقارىء.

وهذا ما لا نريد الإفاضة أو الاستغراق فيه أو الانجرار إليه لأنه لا يعبّر إلّا عن سفاسف وخزعبلات وتهويمات لا قيمة علمية لها ولا واقع ولا أساس.

ومن هذه التهويمات ما كان يستدل به الشيخ الإحسائي على خصومه، **«إذْ صرّح غير مرّة بأن للكلام ظاهرًا وباطنًا وأن بعض العبارات قابل للتأويل لا يمكن الأخذ بظاهره ممن لم يعرف المصطلحات الخاصة»**[2]. واستشهد بقصة الأعرابي الذي حضر مجلس الخليفة عمر بن الخطاب ـ حسب زعمه ـ فقال (أي الأعرابي):

«إنّي أكره الحق، وأحبّ الفتنة، وأشهد بما لم أره، وعندي ما ليس عند الله، وأعلم ما لا يعلم الله، وأصدّق اليهود والنصارى، وآكل الميتة، ولا أركع ولا أسجد، وأنا أحمد النبيّ، وأنا علي، وأنا ربّكم» فأنكر عليه عمر وقال: ازددتَ كفرًا على كفرك، وأمر بضرب عنقه، وكان الإمام عليّ عليه السلام حاضرًا فقال ـ حسب زعم الراوي والمؤلف طبعًا ـ : «مه يا عمر فإن هذا

---

(1) **البهائية من النشأة إلى التأريخ المعاصر** ـ مصدر سابق ص 58.

(2) راجع كتاب (**الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها**) السيد محمد حسن آل الطالقاني ـ الطبعة الأولى 1999 م ـ ص104. علمًا بأن الكتاب نال عليه المؤلف رسالة ماجستير من الجامعة اليسوعية في لبنان عام 1974م ولم يُطبع إلّا في السنة المذكورة.

الرجل من أولياء الله، ما تكلّم إلّا بالحق. أما قوله إنّي أكره الحق يعني الموت وكل واحد يكره الموت، وأما قوله أحبّ الفتنة فإن الله سبحانه يقول ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾(1) وكل أحد يحبّ المال والولد. وأما قوله: أشهد بما لم أره فإنه يشهد بالله ولم يره بالبصر، وأما قوله: عندي ما ليس عند الله فعنده ظلم لنفسه وليس عند الله ظلم. وأما قوله: أعلم ما لا يعلمه الله فإنه يتصوّر أن له ولدًا وشريكًا ولا يعلم الله له ولدًا أو شريكًا. قال تعالى: ﴿أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾(2)، وأما قوله: أصدّق اليهود والنصارى، ففي تكذيب بعضهما البعض، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾(3). وأما قوله آكل لحم الميتة، فالجراد والسمك. وأما قوله ولا أركع ولا أسجد، ففي صلاة الجنازة. وأما قوله أنا أحمد النبي، يعني أحمده على تبليغ الرسالة وأثني عليه. وأما قوله أنا علي يعني عليٌّ في قولي هذا واعتقادي ولستُ بمتسافل. وأما قوله أنا ربّكم بمعنى لي كمّ وصاحب كمّ وهي الردن في الباس، فقام عمر وقبّل رأس أمير المؤمنين وقال: لا بقيتُ بعدك يا أبا الحسن»(4).

(1) سورة الأنفال، الآية: 28.
(2) سورة الرعد، الآية: 33.
(3) سورة البقرة، الآية: 113.
(4) راجع كتاب (**الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها**) السيد محمد حسن آل الطالقاني ـ الطبعة الأولى 1999 م، ص 105، عن دليل المتحرّين ص 41 ـ 47. ويقول المؤلف: (يشكّ في أن تكون هذه النادرة قد حصلت فعلًا والمظنون أنها من صنع المتأخرّين).

ويقول السيد (محمد حسن آل الطالقاني) مؤلف كتاب (الشيخية) المذكور:

«**إنّ مؤلفات الشيخ أحمد الإحسائي زعيم الشيخية، والسيد كاظم الرشتي خليفته، قد تجاوزت أرقامها الثلاثمائة، عدا غيرهما من شيوخها، فقد تجاوزت قائمة مؤلفات غير واحد منهم المائة...**»[1] ويضيف:

«**وكان الإحسائي قد تزوّج ثماني نساء توّفي بعضهنّ في حياته وفارق البعض الآخر، ومجموع من وُلد له منهنّ ذكورًا وإناثًا تسعة وعشرون ولدًا مات أكثرهم أطفالًا ومراهقين**»[2].

ويعترف المؤلف أنه بعد وفاة الإحسائي وظهور الرشتي واستمرار الثاني على منهج الأول وتبنّي آرائه والدفاع عنه وعنها وعدم فهم المعارضين لمقاصده ـ حسب تعبيره ـ كل ذلك جعلهم (أي العلماء) يحشدون قواهم من جديد، ويوحّدون صفوفهم للوقوف في وجهه «**بإسلوب أعنف وضراوة أشدّ ووقفوا منه موقفًا بعيدًا عن الرحمة والإنسانية، مخالفًا للحياء وأخلاق العلماء...**» إلّا أنه لم يوضّح سبب هذا الموقف من قِبل العلماء ولم يستشهد بما قالوه أو قال إلّا بشكل عابر حول الحكمة وتدريس الحكمة وإنّ «الحكماء ضالّون مضلّون» دون ذكر أي تفاصيل.

كما لم يحاول المؤلف الغوص في أفكار الشيخية ومؤلفات شيوخها التي بلغ عددها المئات كما ذكر، وإنما حاول الدفاع عن هؤلاء الشيوخ بمن فيهم الشيخ الرشتي وانّه

(1) راجع كتاب (**الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها**) السيد محمد حسن آل الطالقاني ـ الطبعة الأولى 1999 م، المقدمة ص 9.
(2) المصدر السابق نفسه ـ ص 75.

«**بالرغم من الدعاية السيئة التي كانت تُبثّ ضدّ الرشتي، والإشاعات المغرضة التي كان يطيّرها خصومه حوله لتفريق الناس عنه، فقد كان له مركز اجتماعي مرموق، ومكانة دينية كبيرة، ومجلس درس حافل بوجوه أهل الفضل، وكانت داره ملتقى كبار الرجال ومختلف طبقات الناس من كل المدن العراقية، كما كانت حكومتا إيران وآل عثمان تكنّان له احترامًا وافرًا، وكان السفراء والقناصل وغيرهم من الشخصيات التي ترد إلى بغداد وكربلاء من مختلف البلاد الإسلامية تحرص على لقائه وزيارة داره...**»[1] ـ حسب زعم المؤلف طبعًا ـ.

الأمر المهمّ الذي حاول المؤلف تعميقه في دفاعه عن الشيخية وشيوخها ضد خصومهم هو «**أن الإحسائي كان يرى نفسه مترسّمًا خط الأئمة وتابعًا لهم ومستفيضًا من باطنهم، فهو يقول بكل ثقة وإطمئنان: ليس للخطأ إلى كلماتي سبيل لأني تابع للأئمة**»[2]. ويضيف:

«**أنا لم أسلك طريقهم (أي الحكماء) وأخذتُ تحقيقات ما علمتُ عن أئمة الهدى ولم يتطرّق إلى كلماتي الخطأ**»[3]. وعندما قيل له مرة: «إن بعض المجتهدين يعترض على آرائك». قال: «**هل لا يزال في المسلمين من يردّ على ما قال الباقر وما قاله الصادق، فإنني لم أقل شيئًا غير قولهما**»[4]. ويحكي وهو

(1) راجع كتاب (**الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها**) السيد محمد حسن آل الطالقاني ـ الطبعة الأولى 1999 م، ص 164.
(2) المصدر السابق نفسه ـ ص 237 عن **شيخيگري بابيگري** ص 73.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 237. عن **شرح الفوائد** ص 4.
(4) **شيخيگري بابيگري**، ص 73.

يروي لخواصه ـ والكلام لمؤلف كتاب الشيخية طبعًا ـ : «**أنه فتحت في وجهه أبواب الغيب لإخلاصه في اتباع الأئمة، ويكرّر في مواضع عديدة من كتبه أنه سمع من الإمام الصادق عليه السلام ويصرّح في بعضها أنه سمعه شفاهًا يقول كذا وليس مراده أن ذلك كان في عالم اليقظة بل في الحلم، ويؤكّد على القصة التي رواها من أنه رأى الأئمة عليهم السلام مجتمعين في عالم الرؤيا، وطلب من الإمام الحسن عليه السلام أن يعلّمه شيئًا يتلوه إذا أراد أن يرى أحد الأئمة ليسأله عمّا أشكل عليه، فأعطاه أبياتًا من الشعر. . . .**»[1].

ويحاول الكاتب المدافع عن الشيخية أن يُفسّر هذه التهويمات بقوله:

«**إن هؤلاء المتوغّلين في التألّه يدركون بذوقهم بعض القضايا ولا يجدون عليها برهانًا منطقيًّا، ولا يعرفون المقدمات المنتجة لها. . . فيطلق على هذا القسم من الإدراكات الذوقية (الكشف والإلهام)**»[2].

وكلما حاول المؤلف الدفاع عن الشيخية وزعْمه أنها «**في بداية أمرها كانت حركة إصلاحية دينية استهدفت خدمة العقيدة بالتوفيق بين الفلسفة والشريعة، فحاول رجالها الأقدمون تهذيب**

---

(1) **شيخگري بابيگري**، ص 237 ـ 238.

(2) المصدر السابق نفسه ص 239. وعن هذا الكشف والإلهام نفسه يقول الشيخ كاشف الغطاء عن مؤسّس (فرقة الكشفية) الشيخ كاظم الرشتي ما نصه: (هو الذي خرج عن الجادة القويمة وزاغ زيغًا عظيمًا وأدخل على الشيعة الإمامية أشدّ فتنة وأعظم بليّة، ومنه وأتابعه نشأت بلية البابية) ـ (راجع كاشف الغطاء، **حاشية على أنوار البدرين** ص 409، 408).

الاعتقادات وصيانتها وترسيخها في أذهان المسلمين، وعمدوا إلى التأويل ففسّروا بعض آيات القرآن وأخبار النبيّ وآله بما يوافق أذواق الناس مع المحافظة على جوهر العقيدة، وذلك لصيانة عقائد النشء الجديد، وجلب المارقين والمشكّكين إلى حظيرة الدين»(1). إلّا أنه اضطر إلى الاعتراف بأن الشيخية من فِرق الغلاة وأنها تجاوزت الحدّ ـ حسب تعريف الغلوّ ـ ، فقال:

«**وممن تجاوز الحدّ فرقة الشيخية، فلزعيمها الأحسائي رأي لا يقرّه المعتدلون، وأقواله في ذلك كثيرة لا تحصى، فهو يعتقد أن آل محمد ﷺ معاني الله ووجهه الذي يتوجّه اليه الأولياء، والذي يبقى بعد فناء كلّ شيء، وإنهم العلل الأربع للمخلوقات»**(2). وأضاف:

«**وبما أنهم خلق فوق بني آدم فإن أجسامهم لا تُرى بالبصر ولا بالبصائر، وإن لهم قدرة منع الرزق عمّن يشاؤون، لأن الخلق عبيد رقّ لهم»**. إلى كثير من أمثال ذلك. قال الإحسائي كلّ ذلك وهو واثق بأنه لم ينحرف عن الطريق ولم يخالف الواقع.

«**وجاء من بعده خليفته الرشتي** ـ والكلام ما زال للمؤلف ـ **فنهج الطريق ذاته، وكرّر قول أستاذه حول قدرة آل محمد عليهم السلام على منع الرزق عن المخلوق، وأنهم معاني الله ومعادن كلماته، واعتبرهم عظمة الله وجبروته وقدرته، وأنهم ربوبيّة الله أيضًا وأن كلمة خالق لن تليق بذات الله، ولذلك فالمراد بها وبغيرها من الفعال أهل البيت عليهم السلام. ومن طريف آرائه أن التنباك خلق مرًّا**

---

(1) شيخيگري بابيگري، ص 233.

(2) المصدر السابق نفسه ـ ص 348، وهو نفس ما ستقرأه في بعض أفكار الغلاة المعاصرين في نهاية البحث.

بسبب إنكاره لولاية أهل البيت. وقد أيّد ذلك وأوضحه الشيخ موسى الأسكوئي، وأضاف اليه أن الله صوّر المخلوقات من الأنبياء إلى الجمادات وفق رغبة آل محمد عليهم السلام. فمن أقرّ بولايتهم في عالَم الذر خُلق حسن الهيئة، ومن أنكرها خُلق قبيحًا. وقال بطهارة فضلاتهم ومدفوعاتهم. ولا أدري ـ والكلام كله للمؤلف ـ لماذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وآله نفسه الذي شُرّف آله من أجله، مثل تلك المزية بحيث يخيّره الله في كيفية إيجاد الخلق وهيئاتهم وكانت للأئمة من آله فقط؟!!».

«وخلاصة هذا الباب ـ كما يقول المؤلف ـ أن علماء الشيخية قديمًا وحديثًا قد تجاوزوا الحدّ المسموح به في تقديس آل محمد عليهم السلام وغالوا في حبّهم حتى فوّضوا إليهم بعض الأفعال، وهم وإن صرّح البعض منهم بأن ذلك تفويض مشيئة لا تفويض شراكة أو استقلال[1]، فإنهم غير معذورين عند المعتدلين لأن الأئمة أنفسهم أنكروا ذلك ونهوا عنه».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما نحن إلّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا. ما نقدر على ضرّ ولا نفع، إنْ رحمنا فبرحمته

(1) راجع كتاب (**الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها**) السيد محمد حسن آل الطالقاني ـ الطبعة الأولى 1999 م، ص 348، قارن هذا الكلام مع ما يكتبه المعاصرون من الغلاة. راجع كتاب (التوحيد) الجزء الثاني ـ للسيد كمال الحيدري الذي كتب تقريراته الأستاذ جواد علي كسار وتمّ طبعه في رجب ـ أيلول 1423 ه ـ 2002 م وحيثُ أُفرد لهذا الموضوع فصل كامل تحت عنوان (مظاهر الاسم الأعظم) امتدّ من صفحة 395 إلى صفحة 461. وهكذا ما كتبه الشيخ علي الكوراني في كتابه الموسوم بـ (الحق المبين في معرفة المعصومين) المستفاد من بحوث آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني والذي جاء فيه ما ستقرأ بعضه في نهاية هذا البحث. نرجو مراجعة الكتابين المذكورين للتعرّف على المزيد من هذه التحليلات والتأويلات.

وإن عذّبنا فبذنوبنا. والله ما لنا على الله من حجة وما معنا من براءة وإنا لميّتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون»[1].

وقال الشيخ المفيد: «**والمفوّضة صنف من الغلاة، وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة** عليهم السلام **وخلقهم ونفي القِدم عنهم وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم. ودعواهم أن الله تفرّد بخلقهم خاصة، وإنه فوّض إليهم خلق العالَم بما فيه وجميع الفعال. . . .**»[2].

وقال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الغلاة والمفوّضة أنهم كفّار بالله جلّ اسمه»[3].

وقد ورد النهي الشديد عن التفويض للأئمة عليهم السلام سواء عن طريق الاستقلال أو التصرّف في ملك الله بإذنه ومشيئته وإرادته. وصريح القرآن والأخبار نفي الرزق والإحياء والإماتة عن غير الله تعالى. قيل للصادق عليه السلام: «**إن رجلًا يقول بالتفويض. فقال: ما التفويض؟ فقيل له: يقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمدًا وعليًّا ثمّ فوّض الأمر إليهما فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا. فقال** عليه السلام: **كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فأقرأ الآية التي في سورة الرعد:** ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4]»[5].

---

(1) **رجال الكشي**، ص 42.
(2) **تصحيح الاعتقادات**، ص 137.
(3) **الاعتقادات**، ص 99.
(4) سورة الرعد، الآية: 16.
(5) **الاعتقادات**، ص 101.

البابيّة

وهو مذهب باطني تأسس في إيران عام 1844 على يد الميرزا علي محمد رضا الشيرازي الذي زعم في البين أنه (الباب) للإمام المهدي المنتظر.

ولُقّب بالميرزا علي محمد الباب. توفي والده وهو صغير فكفله خاله الميرزا علي الشيرازي وعهد به إلى الشيخ عابد أحد تلامذة السيد كاظم الرشتي باذر بذور الشيخية المارّة الذكر.

يُعتبر (البيان) كتاب البابية المقدس، ويزعم الميرزا أن هذا الكتاب نزل عليه من سماء المشيئة الإلهية فنسخ به القرآن الكريم وصار فرضًا على كل مسلم أن يؤمن به.

العارف باللغة العربية والمتفحّص لهذا الكتاب يكتشف من أول وهلة، أنه كتاب بائس متهافت مشحون بالأخطاء اللغوية والنحوية والبلاغية بحيث لا تخلو صفحة من صفحاته من هذه الأخطاء الفاحشة، والكتاب محفوظ بخط الميرزا نفسه. في ما يلي بعضٌ من نصوص هذا الكتاب:

«قل اللّهم إنك أنت فردان السماوات والأرض وما بينهما، تخلق ما تشاء بأمرك، إنك أنت أفرد الأفردين. قل اللّهم إنك أنت فردان الفرادين لتؤتين الفرد من تشاء ولتنزعن الفرد عمن تشاء ولتقدرن ما تشاء كيف تشاء لما تشاء بما تشاء إنك كنت على ما تشاء مقتدرًا... إنه كان فرادًا فاردًا فريدًا ولله فرادين السماوات والأرض وما بينهما... والله فردان مفترد متفارد».

ومن كلامه في الأحكام والتشريعات في الكتاب نفسه يقول مخاطبًا النساء والرجال:

«... لتلطفن أبدانكم، ولتنظرن في المرآة بالليل والنهار

لعلكم تشكرون. ثم السابع أنتم فلتصلين في العباء وهن في لباسهن ولا جناح عليهن في ظهور شعراتهن وأبدانهم عند أزواجهن (لاحظ). ثم العاشر أنتم بالخلال والمسواك بعدما تفرغون من رزقكم أفواهكم تلطفون ثم لترقدون، ثم وجوهكم وأيديكم من حدّ الكف تغسلون إن تريدون أن تصلون... ولا تركبن الحيوان إلّا وأنتم باللجام والركاب لتركبون. ولا تركبن ما لا تستطيعن أن تحفظن أنفسكم، فإن الله قد أنهاكم عن ذلك نهيًا عظيمًا»[1].

وفي نصّ آخر يقول:

«إنّا قد جعلناك نورًا نورانًا نويرًا للناورين. وإنّا قد جعلناك رحمانًا رحيمًا للراحمين. وإنّا قد جعلناك تمامًا تميمًا للتّامين. قل إنّا قد جعلناك كمالًا كميلًا للكاملين. قل إنّا جعلناك كبرانًا كبيرًا للكابرين، قل إنّا جعلناك حبابًا حبيبًا للحابين، قل إنّا جعلناك شرفانًا شريفًا للشارفين»[2].

ومن غريب أقواله بل ترّهاته أيضًا:

«تبارك الله من شمّخ مشمّخ شميخ، تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ... تبارك الله من فخر مفتخر فخير، تبارك الله من ظهر مظهر ظهير. تبارك الله من قَهر مقهرٍ قهير، تبارك الله من علمٍ معتلم عليم»[3] وهكذا إلى ما لا نهاية له من هذا الهراء والإسفاف والانحدار.

---

(1) **حقيقة البابية والبهائية** ـ الدكتور محسن عبد الحميد ص 63 ـ 93 عن البيان ملحق كتاب عبد الرزاق الحسني (**البابيون والبهائيون**).

(2) المصدر السابق نفسه، ص 133 عن **مفتاح باب الأبواب** ص 278.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 282.

ومن أفكار هذا (الباب) وفرقته أنهم ألغوا العديد من الشرائع كالصلاة والصيام وأحكام الزواج والطلاق والإرث. وتفنّنوا في اختلاق الرؤى والأحلام. وألغوا فكرة الجهاد، ودعوا إلى مقارعة الخصوم عبر الدعوة بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة فقط، الأمر الذي استحسنته الماسونية العالمية ودوائر الاستعمار التي هيمنت على مقدرات المسلمين آنذاك.

كما دعوا إلى تحريم الحجاب على المرأة وإطلاق زواج المتعة بلا حدود، والترويج لما يُسمى حساب الجُمل واختلاق أرقام لكل حرف من حروف الكلمات وتطويع هذه الجمل والكلمات لما يخدم أهدافهم السياسيّة والمذهبيّة في استغفال البسطاء والسذج واستهبالهم.

أما تفسيرهم للقرآن أو فهمهم له فقد تعمّدوا التأويل والتفسير الباطني، فصارت آيات الله البينات تُفسر حسب الأذواق والأهواء حتى صارت ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ مثلًا محمدًا و﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ عليًّا، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الحسن والحسين. و﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾(1) الأمويون، وهكذا مما لا رأس له ولا ذيل ولا أساس، ولا يرتكز على ركن مكين من وحيٍ أو تنزيل أو تفسير أو تأويل.

البهائية

أما البهائية فهي عقيدة باطنية أخرى أسسها الميرزا حسين علي النوري الملقّب بالبهاء أو بهاء الله 1817 ـ 1892 وجاءت امتدادًا لعقيدة البابية المارّة الذكر.

(1) سورة الشمس، الآيات: 1 ـ 4.

ويعتقد البهائيون أن الله تعالى عبّر عن نفسه خلال ابراهما وبوذا وكونفشيوس وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وأخيرًا البهاء الذي يشبه المهدي المنتظر[1]. ولا يختلفون عن البابيين إلّا في بعض الفروع والاجتهادات. وكتابهم المقدس الذي ألّفه الميرزا المذكور هو البديل عن كتاب (الباب) المعروف (البيان) المار الذكر. وهم في ظاهرهم يدعون إلى وحدة الأديان والإخاء بين بني البشر وإلغاء الفوارق العرقية والدينية والطبقية.

الرقم (19) لديهم مقدس، كما هو في البابية، وتتكون سنتهم من تسعة عشر شهرًا وكل شهر من تسعة عشر يومًا، والصوم لديهم في الشهر التاسع عشر الذي ينتهي عادة عند الاعتدال الربيعي. موضوع الزواج يرتبط بهذا الرقم فالمهر لديهم في مجتمع المدينة مثلًا 95 مثقال ذهب أي 5 × 19. وفي الريف 19 فقط، والصلاة عندهم 19 ركعة والزكاة 19% من صافي الربح ويُدفع إلى (بيوت العدل) التي تعادل (بيت المال) أو خزانة الدول وهكذا في أمور كثيرة ابتدعوها حول هذا الرقم.

زعم مؤسس البهائية أن كتابه (الأقدس) هو الأكمل في الكتب الدينيّة المقدسة وهو تاجها بل هو نسخ لكتاب الله (القرآن) وأنه نزل عليه من سماء المشيئة الإلهية أيضًا، وقد حاول فيه محاكاة القرآن في السجع والإيقاع والوزن، ولكنه جاء شائنًا ومتهافتًا ولا يختلف عن سابقه، ومثال ذلك:

«إنا ما دخلنا المدارس، وما طالعنا المباحث، اسمعوا

(1) **الموسوعة السياسية** م 1 / ص 578.

ما يدعوكم به هذا الأمي إلى الله الأبدي، إنه خير لكم مما كنز في الأرض لو أنتم تفقهون»[1]

ومثال آخر:

«**ولا تتبعوا أنفسكم إنها لأمارة بالبغي والفحشاء**» محاكاة لقوله تعالى ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[2].

ومثال آخر: «**ألا بذكره تستنير الصدور وتقرّ الأبصار**» محاكاة لقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[3]، و«**من ابتُلي بمعصية فله أن يتوب ويرجع إلى الله، انه يغفر لمن يشاء**» وهكذا.

أما تأويلهم لآيات القرآن الكريم فجاءت متشابهة لتأويلات البابية وتفسيراتها وبعيدًا عن كل أصول التفسير والفقه وقواعد اللغة. فقد قالوا في تفسيرهم للآية القرآنية الكريمة: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[4] بأن الحياة الدنيا هي (محمد) والآخرة هي (الميرزا حسين علي البهاء)[5]. وهكذا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[6] أي ذهبَ ضوؤها وهي الشريعة الإسلامية واستُبدلت بشريعة البهاء، ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾[7] أي أُنشئت

---

(1) **الأقدس**: 121 وهو المنشور في كتاب البابيون والبهائيون للأستاذ عبد الرزاق الحسني.
(2) سورة يوسف، الآية: 53.
(3) سورة الرعد، الآية: 28.
(4) سورة إبراهيم، الآية: 27.
(5) **حقيقة البابية والبهائية** ـ مصدر السابق ص 169.
(6) سورة التكوير، الآية: 1.
(7) سورة التكوير، الآية: 5.

لها حدائق للحيوانات، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[1] أي أنشئت فيها البواخر. وهذا لا يختلف طبعًا عن تفسير البعض ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾[2] بالحسن والحسين، و﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[3] بالإمام علي والزهراء عليهما السلام. أو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[4] فالبعوضة هي أمير المؤمنين، وما فوقها هي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[5].

ويزعم البهائيون أن الإنسانية وصلت إلى درجة من التحلّل والفساد بحيث تحتاج إلى شريعة جديدة، فأباحوا الربا مثلًا ودعوا إلى الزواج من المحارم باستثناء زوجة الأب، وأعفوا النساء من الاغتسال بعد الحيض والاكتفاء بالوضوء[6]، وأشاعوا الإباحية ونسخوا تعاليم الدين المقدسة في عفة النساء وحشمتهن وقد تجلّت هذه الدعوة في أول ظهور لميرزا حسين علي البهاء في مؤتمر رشت حيث اقترب من (قرّة العين)[7] ودفعها من وراء الستار لتظهر على الحضور بكامل زينتها وتبرّجها وتدعو للتحرر من قيود الدين والعودة إلى «هذا الصدر الجميل»! ـ حسب تعبيرها الداعر ـ وما يعفّ القلم عن ذكره...

---

(1) سورة التكوير، الآية: 6.
(2) سورة التين، الآية: 1.
(3) سورة الرحمن، الآية: 19.
(4) سورة البقرة، الآية: 26.
(5) **تفسير القمي** 1: 35.
(6) يمكن مراجعة ذلك وغيره في نصوص كتابهم الأقدس.
(7) وهي امرأة داعرة معروفة وقد مارست دورًا كبيرًا في إشاعة الرذيلة والتهتك حتى انتهت إعدامًا.

وكانت أخطر أفكار الميرزا هي الدعوة لتكريس (شوكة السلطنة) باعتبارها (آية من آيات الله) حتى جاء قوله الصريح:

«... **وتكونوا خاشعين للسدّة الملكية لكل ملك، وأن تخدموا الملوك بنهاية الصداقة والأمانة، وتكونوا مطيعين لهم محبين لخيرهم، وأن لا تتداخلوا (لاحظ) في الأمور السياسية من غير إرادتهم وإجازتهم**»[1].

وكان جلّ همهم بعد إلغاء العمل السياسي هو (التمسك بالمظاهر الكاذبة) ووضع العمامات الكبيرة على الرؤوس وارتداء الجبب الواسعة وتطويل اللحى والشوارب، وقد اتخذ كل واحد منهم عصا في يده، واشتغل بتحريك شفتيه بالتسبيح والتنفّس بحرقة وحزن، والانتشار في كل موقع ومكان حتى صحّ فيهم قول القائل:

«**فتفرقوا شيعًا فكلّ جزيرةٍ فيها أمير المؤمنين ومنبرُ**»

ومن عجائب أحكامهم أنه لا حجّ على النساء، وأن بيت حسين علي البهاء هو كعبتهم التي يحجّون إليها ويتبركون بها وأن الحج يأتي كل أيام السنة ولا يتقيّد بفصل أو شهر أو أسبوع. أما حكم اللواط فقد اكتفى البهاء بقوله في أقدسه: «**إنا نستحي أن نذكر حكم الغلمان**»[2].

والصلاة لدى البهائيين ثلاثة أنواع:

أ) ـ الصلاة الكبرى ويؤديها البهائي مرة واحدة في اليوم.

---

(1) **بهاء الله والعصر الجديد**، ص 254.

(2) راجع كتاب **الأقدس** في كتاب الأستاذ عبد الرزاق الحسني (**البابيون والبهائيون**) ص 178.

ب) ـ الصلاة الوسطى وهي مجرد دعاء يقرؤه البهائي كل يوم عند الظهر.

ج) ـ الصلاة الصغرى وتحتوي على ركعة واحدة يؤديها البهائي في الصباح والظهر والمساء[1].

القاديانية

ولم يَقتصر انتشار الفرق الباطنية على إيران وبعض الدول العربية وإنما انتقل إلى الهند وباكستان في أواخر القرن التاسع عشر أي بعد استقرار الحكم الإنكليزي في تلك البلاد.

انتشرت هناك الفرقة القاديانية برئاسة مؤسسها القاضي غلام أحمد القادياني 1839 ـ 1908 الذي زعم أنه المسيح الموعود وانه التجلّي الأعظم للحجة المنتظر[2].

سُميت بالقاديانية نسبة إلى مؤسسها (القاضي) هذا المولود في مدينة (قاضيان) في مقاطعة البنجاب، كما سميت بالأحمدية نسبة إلى اسمه الأول غلام أحمد، وانفرد القاديانيون بجملة مبادىء أهمها:

1 ـ محاربة مبدأ النبوّة وختمها المقدّس.

2 ـ محاربة مبدأ الجهاد وإسقاطه.

3 ـ الدعوة لطاعة الإنكليز والولاء لهم[3].

---

(1) **البهائية من النشأة إلى التأريخ المعاصر**، ص 423 ـ مصدر سابق.

(2) **البهائية** ـ حقيقتها وأهدافها ـ ضاري محمد الحياني ـ واسط ـ بغداد 1989 ص 34 عن القادياني والقاديانية: أبو حسن الندوي ص 38 ـ الدار السعودية للنشر .**القاديانية**: إحسان ظهير ص 19 المكتبة العلمية بالمدينة المنوّرة ط 1 / سنة 1967.

(3) **القاديانية والاستعمار الإنكليزي**، عبد الله سلوم السامرائي ص 11.

وأكثر ما أكّدوا عليه أن الجهاد يجب أن يُشنّ بالوسائل السلمية وليس بالوسائل العسكرية[1].

وفي ذلك يقول غلام أحمد: «**لقد ظللتُ منذ حداثة سنّي وقد ناهزتُ اليوم على الستين أجاهد بلساني وقلمي لألغي فكرة الجهاد التي يدين بها البعض والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة (أي الحكومة الإنگليزية) وعدم الجهاد ضدها أصلًا لأنها أحسنت إلينا وأرى أن كتاباتي قد أثّرت في قلوب المسلمين**»[2] ويضيف: «**لقد استطعت أن أقلع ألوف الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجاحدين**»[3].

كما اعتمدوا تأويل القرآن الكريم أيضًا والأحاديث الشريفة وأخذوا بمبدأ الحلول والتناسخ وأن روح الله حلّت في روح (الزعيم المؤسس) وراحت تكشف له من أسرار الملكوت ما لا تكشف لغيره فسمى نفسه (النبي الظلّي). ففي كتابه (البراهين الأحمدية) وفي البداية نقرأ له:

«**إني لم أجيء بشريعة مستقلة ولا أنا نبي مستقل، ولكني بالحصول على الفيوض الباطنية من المقتدى حصلتُ على عالم الغيب أي بواسطته ولا أنكر أبدًا أن يُقال عني نبّي بمثل هذا المعنى**»[4].

ولم يتردد في أخريات سنيه أن يؤكّد أنه النبي الذي بشّر

(1) **موسوعة المورد**، منير البعلبكي، ج 1 ص 58.
(2) المفتي محمود: **المتنبي القادياني** ص8.
(3) الميرزا غلام أحمد من الرسالة المقدمة إلى الحكومة الإنكليزية/المصدر السابق نفسه، ص 9.
(4) **هذا هو الإسلام**، ص 167.

به عيسى حيث أوّل الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[1] قائلًا: **(إنني أحمد وذاك محمد)**[2].

وقد ظهرت له كتب عديدة أهمها (الكتاب المبين) وأظهر فيه ترجمة محرّفة للقرآن الكريم، وكذلك (إعجاز المسيح) و(تجلّيات إلهية) و(وكلمة الفصل) و(حقيقة النبوة) و(إزالة الأوهام)، ومعظمها كتب لاهوتية تغوص في الباطنية والتأويل واستظهار الغيب والاضطلاع بالحلول والكشف والأسرار.

وقد تدرج الميرزا في عالم الغيب خطوة خطوة، فلقد أثبت المعجزات والخوارق التي تكسبه صيتًا عاليًا، ثم الكشف والإلهام والكرامات والعلم الباطني والعلم اليقيني والتكلم عن صفات النبوة وخصائصها ثم الحديث عن درجات الصالحين والصديقين والشهداء، وأخيرًا عن الفيض والظلّية والامتداد وهكذا.

وعندما اصطدم الميرزا بفكرة ختم النبوة في محمّد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3] رجع إلى الفيض والتأويل مخترقًا هذا الثابت بقوله:

«**إن القول بختم النبوة وإغلاق بابها يستلزم انقطاع الفيض وهذا فيه شؤم ونحس وتكذيب بقوله تعالى:** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4] **لأن إغلاق النبوة لا يتلاءم وخير الأمة**» إلى

(1) سورة الصف، الآية: 6.
(2) **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، ص 92.
(3) سورة المائدة، الآية: 3.
(4) سورة آل عمران، الآية: 110.

أن يقول: «**إنني لستُ نبيًّا أو رسولًا... ولكني ظل كامل ومرآة تنعكس فيها الصورة المحمديّة بشكل كامل**»[1].

ومن هذه (النبوّة الظّلية) صار الميرزا نبيًّا، واختفى وراء هذه المقولة ليحمي نفسه من شراك السقوط في تهمة الزندقة. أي إنه بعد أن أثبت نفسه نبيًّا ظليًّا، وفسّر النبوة على أساس الظل والتبعية والكشف لم يجد صعوبة في الخروج من عنق الزجاجة إلّا بكسرها أو المروق منها إلى حيث يريد، فزعم أنه في مصافّ الأنبياء وإنه لا يختلف عنهم في شيء، قائلًا:

«**إنني صادق كموسى وعيسى وداود ومحمد... وسينجذب إلى هذا الصوت كل سعيد، ولا يبقى إلّا الأشقياء الذين حقّت عليهم الضلالة وخُلقوا ليملأوا جهنّم**»[2].

ونَسب أحد أقطاب القاديانية وهو الدكتور عبد الحليم إلى الميرزا قوله:

«**إنّ الله كشف لي أن كلّ من بلَغَته دعوتي ولم يقْبلني ليس بمسلم**». و«**لقد أراد الله أن يتمثّل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص واحد وإنني ذلك الرجل**»[3].

ولم تقتصر دعوة الميرزا على ترويج الطاعة للإنكليز والولاء لهم وأن «**الجهاد حرام وأن طاعة الحكومة الإنكليزية واجبة على كل مسلم، وأن من لا يطيع الحكومة ويشترك في**

---

(1) راجع: الميرزا محمود ابن المؤسس: **حقيقة النبوة**، ص 272، والميرزا غلام أحمد: **نزول المسيح**. **وقادياني مذهب**، ص 199.

(2) راجع كتب الميرزا غلام أحمد: **سفينة نوح** ص 18، (**تحفة العقول**) ص4، و(**براهين أحمدية**) ج5 ص 82.

(3) الميرزا غلام أحمد: **براهين أحمديّة** ج5، ص 89.

المظاهرات ضدها فهو ليس من جماعتنا»[1] بل دعا إلى التضحية في سبيلهم وبذل النفس والنفيس لهم، فقال:

«**إن خروجنا ضد الحكم الإنكليزي هو خروج على الله ورسوله**» و«**إن الإسلام شطران: شطر أن يطيع الرجل الله، والشطر الآخر الطاعة للحكومة الإنكليزية**»[2]. ومن هنا كان الميرزا يصفّق طربًا لانتصار جيوش الإنكليز على البلدان الإسلامية فيقول مبتهجًا بدخول هذه الجيوش إلى بغداد: «**كنّا قد تنبأنا بهذا النصر منذ زمن بعيد، وكان هجوم الحكومة البريطانية على البصرة وإرسال القوات إليها من كل مكان بإيعاز وتحريك من ملائكة الله الذين أرسلهم لمدد هذه الحكومة**»[3].

(1) الميرزا غلام أحمد: **تبليغ رسالة** ج1، ص 46، و**تحفة الملوك** ص 123. راجع **مجلة الفضل** 15/ 1/ 1935.

(2) راجع **سفينة نوح**، ص 84 ـ 85 و**قادياني مذهب**، ص 533.

(3) الميرزا غلام أحمد: من خطاب له منشور في كتاب **قادياني مذهب** ص602، إشارةً إلى احتلال الإنكليز للعراق بين أعوام 1914 ـ 1920 والإجهاز على ثورة العشرين الخالدة في هذا البلد.

دوافع وأهداف هذه الفرق

من قراءة متأنية لأسباب ودوافع نشوء الفرق المذكورة، نرى أن هناك قاسمًا مشتركًا يكاد يجمع بين الجميع وهو خدمة أغراض ومصالح سياسية لهذه الدولة أو تلك أو هذا الحاكم أو ذاك. بالإضافة إلى ما يحقّقه أصحابها من منافع ذاتية ومصلحية تدرّ عليهم المال والجاه والاستمتاع بـ (الشمس واللبن) ـ كما يقولون ـ .

فحالما تقوم دولة من الدول أو ثورة من الثورات في هذه البقعة من الأرض أو تلك، لا سيما الدول الإسلامية، تقوم السفارات الأجنبية بالبحث عن مواطن اصطياد، وحياكة أو اقتناص عملاء لحفظ مصالحها داخل هذه الدول.

ولما كان الحسّ الديني فاعلًا في المجتمعات الإسلامية، فإن المصالح الأجنبية لا يمكن تحقيقها إلّا بالتسلّل إلى التجمعات الدينية وإذكاء نيران الفتن وإشعال حرائق (عقائدية) فيما بينها واستثمار هذه الحرائق والفتن لتدوير الصراعات المترشحة عنها والاعتياش عليها وإشغال الناس بها عن قضاياهم الأساسية.

وهكذا نلاحظ أن ظهور أو إظهار الشيخية والبابية والبهائية وبشكل جلي، أصبح مرتعًا خصبًا لهذه النشاطات الأجنبية حيث راحت السفارات تدق على الأوتار العقيدية والمذهبية لهذه الفرق

من أجل إنشاء المزيد من الوجودات والكيانات والاستقطابات السياسية تحت هذا الغطاء الديني أو ذاك.

فبعد ادعاءات أحمد الإحسائي مؤسس فرقة الشيخية توجهت عناية السفارات الخارجية في إيران إلى إسناده ودعمه، الأمر الذي قاد إلى بروز البابية والبهائية المذكورتين، فكانتا أفضل سبيلين لإحداث شرخ كبير في العقيدة والوجود الإسلاميين من خلال دعم ومباركة جهود ونشاط هاتين الفرقتين واعتبارهما ساحتي عمل جديدتين للسياسيين، وافتعال المعارك العقائدية الوهمية بين المسلمين وإضعاف الصفّ الإسلامي المتداعي أصلًا.

فقد أكّدت عشرات الوثائق دعم السفارة الروسية في طهران مثلًا لـ«كينازد الكورني» الذي نشر مذكراته في مجلة (الشرق) الناطقة باسم الخارجية الروسية، فأورد هذا الجاسوس الروسي الذي كان مترجمًا للسفارة الروسية بطهران لحين ارتقائه منصب الوزير المفوض ثم سفيرًا[1] أورد تردّد حسين علي بهاء على السفارة الروسية، ولكنّ البهائيين تنصلوا من هذه التهمة، الأمر الذي أثبتته الوقائع والأحداث ومن المصادر البهائية نفسها.

إذْ من خلال هذا الرجل وعلاقته بالباب استطاعت الحكومة الروسية أن تجعل من الميرزا صنيعة لها للإخلال بالأمن في بلاد إيران والبلدان الإسلامية المجاورة وإشغالها

(1) **حقيقة البابية والبهائية**، مصدر سابق، ص 116، نقلًا عن الحقائق الدينية في الردّ على العقيدة البهائية بقلم محمد حسين آل كاشف الغطاء.

بحرب داخلية حول العقيدة والأحلام والكرامات وما يعنيه الرقم 19 مثلًا وحساب الجمل والفيوضات (الملكوتية والجبروتية)! وما إلى ذلك.

وقد انكشفت العلاقة بين الباب وروسيا عندما تدخّلت الأخيرة عبر قنصليتها في طهران تدخلًا مباشرًا لإنقاذ الميرزا من الإعدام. ولكن بعد أن سبق السيف العذل.

ولم يفُت أجهزة الدعاية اليهودية أن تسخّر كتّابها للدفاع عن البابيين دفاعًا مستميتًا وتعرّفهم للعالم، وهذا ما فعله (غولد زيهر) اليهودي المتعصّب، حين راح يتكلم عن البابية ويدافع عنها ويضيف على رجالاتها لقب البطولة، وخاصة على غانيتهم الفاجرة (قرّة العين) المارّة الذكر[1].

وهذا يعني أن أطروحة البابية لم تبقَ بعيدة عن الأنظار وقتًا طويلًا، إذ سرعان ما انتشرت دعوتها وراح دعاتها يجهرون بها ويروّجون لها، الأمر الذي دعا علماء إيران إلى التضييق على الباب علي محمد الشيرازي ودعوته إلى المناظرة والمناقشة. فانعقدت لهذا الغرض مجالس متعددة في مناسبات مختلفة، ظهر فيها ضعف الباب وتهافُت أفكاره وعدم قدرته على الدفاع عما يتعلّق بالبابية والمهدوية والنبوية والألوهية، وادّعاء نسخ الشريعة الإسلامية...

---

(1) **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ص 242 ـ 243، وقصة قرّة العين هذه مسألة جديرة بالقراءة والمتابعة لمن يرغب في التفصيل وكيف أنها تطيّبت وتزيّنت وتبرّجت وخرجت سافرة مكشوفة الصدر على المؤتمرين في حضرة (الباب) وهي تُرغّب الحضور بصدرها الخلّاب وطيبها الجذاب هازئةً بالعرف والدين ومنهج رب الأرباب.

وتبيّن من خلال هذه النقاشات والمظاهرات أنه كان يفتقد إلى أقل مقادير المعارف والعلوم الإسلامية التي تؤهّله على القدرة على الاستنباط من الكتاب والسُّنّة، وكان يتردد في إجاباته متذرعًا أنه (تعلّم الصرف مثلًا في الصغر وقد نسيه الآن)[1] وأنه (أطلق عنان النحو من قيوده)[2] لتبرير أخطائه النحوية.

ونتيجة إحكام اللحمة بين الأمة الإيرانية والمجتهدين، والمقاومة التي أبداها الشعب الإيراني بزعامة العلماء الواعين، تمّ إلقاء القبض على الباب وأودع في السجون، إذْ ظلّ يتنقل من سجن إلى سجن حتى استقر به المقام في نهاية المطاف بسجن (ماه كو) ومنه إلى سجن (جهريق) إلى أن توفي محمد شاه سنة 1848م/ 1264 هـ.

وبعد وفاة هذا الشاه استغل البابيون هذه الحادثة لإثارة الثورات في مناطق إيران المختلفة وتحريض الناس ضد ناصر الدين شاه...

وهنا أصبح لزامًا على الحاكم الجديد أن يضع حدًّا لهذه الاضطرابات فتمّ إحضار الباب إلى تبريز من قلعة جهريق مجددًا، فلبث ثلاثة أيام ثم نُفّذ به حكم الإعدام يوم الأربعاء 28 شعبان 1266 هـ وله من العمر 31 سنة[3]. وبعد إعدامه طافوا بجثمانه في أسواق المدينة وأزقتها وأخيرًا ألقوه على حافة خندق معزول طعمةً للهوام والسباع.

---

(1) محمد فاضل، **الحرب في صدر البهاء والباب**، دار التقدم بشارع محمد علي، مصر، الطبعة الأولى 1329هـ، ص 184.

(2) اعتضاد السلطة، **فتنة الباب**، ص 21.

(3) محمد محمدي اشتهاردي، **ارمغان استعمار**، ص 45 ـ 46.

هذا على صعيد البابية، أما البهائية «**فلقد اعترفت الدولة الروسية رسميًّا بالبهائيين إذ سمحت لهم ببناء معهد (مشرق الأذكار) بمدينة عشق آباد وافتتاح مدرسة بهائية بها، ووفرّت لهم أنواع الحماية اللازمة من الترخيص باجتماع البهائيين إلى طبع المصنّفات البهائية ونشرها...**»[1].

وتؤكّد المصادر التاريخية الموثقة بأن حسين علي بهاء وشقيقه قد حازا على الجنسية العثمانية أثناء إقامتهما في بغداد، ولكنهما لم يلبثا أن تخليا عنها لفائدة الجنسية الإنكليزية التي عُرضت عليهما بتوفير الحماية والدعم لكل من سار في ركابها ورعى مصالحها في المنطقة...[2].

وكان من جملة ما نفّذه هذين الرمزين البهائيين وأبنائهما أنهما حينما عضّ الجوع وحلّ الفقر وانتشرت الأمراض في أوساط المجتمع الإيراني بمن فيهم البابيون أنفسهم، كان عباس أفندي يوزع الدنانير الذهبية على سيدات لندن وأوروبا سعيًا إلى إدخال السرور عليهن، وضمانًا لانتشار الأمر البهائي وتأمين الصلح والسلام العالميين بينهن...[3].

وأكثر من ذلك أن عباس أفندي كان يعمل في خدمه الإنكليز بتخزين المواد الغذائية وتسليمها فيما بعد للجيوش الإنكليزية في زمن كانت ترزح فيه كل من إيران وتركيا تحت نكبة الجوع والقحط. وأقصى ما كان يرجوه من وراء ذلك هو الحصول

(1) **البهائية من النشأة إلى التاريخ المعاصر**. مصدر سابق ص 143 عن عبد الحسين آوره ـ **الكواكب الدرية**، بالفارسية ج2، ص 55.
(2) المصدر السابق، 154.
(3) أمان الله شفا ـ **نامهاى از سن بالو**، ص 218.

على لقب (اللورد) ووسام الشرف الإنگليزي في وقت كانت جميع شعوب الدنيا تشكو من تسلّط الإنگليز وهيمنتهم واستعبادهم. . .

وكان أصدق مثال على ولاء أفندي هذا إلى الإنكليز ما جاء في اللوح المشهور الذي أعدّه لملك بريطانيا (جورج الخامس) وتوجّه إليه بدعاء مأثور قائلًا فيه: «. . . . **هو الله.. اللّهم إن سرادق العدل قد خرجت أطنابها على هذه الأرض المقدسة في مشارقها ومغاربها ونشكرك ونحمدك على حلول هذه السلطة العادلة والدولة القاهرة الباذلة القوة في راحة الرعية وسلامة البرية. اللّهم أيّد الامبراطور الأعظم جورج الخامس عاهل انكلترا بتوفيقاتك الرحمانية وأدم ظلها الظليل على هذا الإقليم الجليل بعونك وصونك وحمايتك، إنك أنت المقتدر المتعالي العزيز الكريم. . .**»[1] حيفا **17 ديسمبر/كانون الأول 1918م.**

هذا وقد أنعمت الحكومة الإنكليزية على عباس أفندي بوسام علّقته على صدره ليبقى علامة أبدية على تبعيته لها. . . بعد أن أوحى لها أن أكثر الإيرانيين قد التحقوا بالطائفة البهائية، وأنه عن قريب سيقع الالتحام الكامل والشامل بين الملّتين الإيرانية والإنكليزية[2].

أما اليهود فقد حاولوا بكل ما لديهم من وسائل لتثبيت مركز الميرزا حسين البهاء وبلغ الأمر بهم «**أن استخلصوا من دفائن العهد القديم وتنبؤات أسفاره ما يُنبىء بظهور بهاء الله وعباس، وزعموا أن كل آية تشيد بمجد يهود أنها تعني ظهور**

(1) البهائية من النشأة إلى التأريخ المعاصر، ص 163.
(2) المصدر السابق، ص 164.

مخلّص العالم في شخص بهاء الله، كما نسبوا جزءًا كبيرًا من الإشارات والتلميحات التي في الأسفار إلى جبل الكرمل الذي تجلّى منه نور الله وأضاء الكون... ولم ينسوا أن يستخرجوا مما يحتويه سفر دانيال من الرؤى ما يُنبىء بقيام الحركة التي أوجدها الباب..»[1].

وأسفرت البهائية عن وجهها الصهيوني بعد موت الميرزا شوقي أفندي رباني حبرهم الثالث بعد البهاء وابنه، إذ اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل، وانتخب صهيونيًّا أمريكيًّا اسمه (ميسون) ليكون رئيسًا روحيًّا لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم[2].

وقد استبشر البهائيون عندما تمّ لليهودية العالمية ما أرادت سنة 1948 ظلمًا وعدوانًا، واعتبروا يوم تأسيس إسرائيل دليلًا على مزاعم مرشدهم الميرزا حسين. إذ جاء في كتابهم:

«**هذا يوم فاز فيه الكليم بأنوار القديم، وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذي به سُجّرت البحور. قل تالله الحقّ إن الطور يطوف حول مطلع الظهور. والروح ينادي من في الملكوت: هلّموا وتعالوا يا أبناء الغرور، هذا يوم فيه سرع كرم الله شوقًا للقائه، وصاح الصهيون قد أتى الوعد، وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب...»**[3].

هذا واعتبر البهائيون أن ما تحقق لليهود من اجتماع بالأراضي الفلسطينية إنما هو من بركات دعوة علي محمد

(1) **العقيدة والشريعة**، غولد زيهر ص 250.

(2) **دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين** 2/ 377.

(3) **الأقدس** ص 118.

الشيرازي الباب، وحسين علي بهاء الله، فقد ذكر وليام سيروس ذلك قائلًا:

«**إن الرومان كانوا أول من استولى على فلسطين، ثم استولى عليها المسلمون الأجانب، فاحتلوا القدس سنة 637 وأقاموا مسجد عمر على أنقاض هيكل سليمان، وكان اليهود خلال مدة الاحتلال هذه مطرودين من بلادهم، إلى أن حلّت سنة 1844 وهي السنة التي ظهرت فيها البابية، فعاد اليهود إلى الاستيطان ببلادهم الأصلية فلسطين...**»[1].

وهذا ما كانت تروّج له البهائية في أدبياتها ونشرياتها في تلك الفترة.. فقد جاء في أحد توقيعات شوقي أفندي ما يلي:

«**لقد تحقق الوعد الإلهي لأبناء الخليل ووارثي الكليم، واستقرت الدولة الإسرائيلية في الأرض المقدسة، وأصبحت العلاقات وطيدة بينها وبين المركز العالمي للجامعة البهائية، واعترفت بهذه العقيدة الإلهية**»[2].

وقد نشرت مجلة (أخبار أمري) نصًّا لحوارٍ جرى بين شوقي أفندي والوزير الإسرائيلي لشؤون الأديان جاء فيه:

«**إن أراضي الدولة الإسرائيلية في نظر البهائيين واليهود والمسلمين أراضٍ مقدسة، وقد كتب حضرة بهاء الله قبل أكثر من خمسين سنة أنه في النهاية ستكون فلسطين موطنًا لليهود، وهذا التنبؤ طبع في حينه وانتشر..**»[3].

كما أصدر شوقي أفندي «**أمرًا إلى جميع المحافل البهائية**

---

(1) William Searus, ***Voleur dans La nuit***, P.34

(2) **توقيعات مباركة حضرت ولي أمر الله**، أبريل/نيسان 1945 ـ 1952.

(3) **مجلة أخبار أمري**، عدد سبتمبر/أيلول 1951. أُركان محفل ملّي بهائيان.

في العالم لتؤسس كلّ منها فرعًا لها في إسرائيل، طبقًا لخطة المحفل الأكبر للسنوات العشر في قيام المملكة الإسرائيلية في الأراضي المقدسة، وقد أعلنها حضرة عبد البهاء في خطابه بالمؤتمر الرابع للدعاية الذي انعقد في نيودلهي، وقال: إننا ندعو المجتمع البهائي بجميع طبقاته أن يبادر في العشر سنوات من قيام دولة إسرائيل...»[1].

من جانبها بذلت إسرائيل جهودًا كبيرة في مجال توفير الحماية للبهائية وتأمين انتشارها باستخدام كافة الوسائل والأساليب التي تمكنها من تحقيق ذلك... ومن جملة هذه الأساليب ما يلي:

1 ـ عملت وسائل الإعلام الإسرائيلية على التعريف بالبهائية وشرح معتقداتها وتحليل توجهاتها، واستجابت هذه المؤسسات الإعلامية إلى التوصيات الصادرة تصريحًا أو تلميحًا عن قادة الصهيونية فانطلقت في عملية دعائية كبيرة لفائدة البهائية، فقد صرح لطف الله حكيم عضو الهيئة البهائية العالمية في إسرائيل قائلًا:
«إن الجرائد الإسرائيلية الناطقة باللغة العبرية أو العربية أو الإنكليزية قد نشرت مقالات مفصّلة عن الديانة البهائية والمقام الأعلى»[2].

2 ـ بثّ راديو إسرائيل برنامجًا خاصًّا باللغة الإنكليزية عن البهائية بتاريخ 29 ديسمبر/كانون الأول 1952، لم يكن القصد منه التعريف بالبهائية فحسب، وإنما المساهمة في

(1) **مجلة أخبار أمري**، عدد 4/ 1953.
(2) المرجع السابق، عدد 6/ 7 مهر ـ آبان 1332.

ترويجها والدعاية لها حتى تكتسح جميع المحافل العالمية، فقد ورد في هذا البرنامج:

«**إن إسرائيل اليوم ليست مركزًا للديانة الكليمية والمسيحية والإسلام فقط، وإنما هي أيضًا مركز لديانة رابعة وهي الديانة البهائية التي اختارت هذه الأرض لتكون مركزًا لها... وأن أمنية أي فرد بهائي هي السفر إلى بلاد إسرائيل لزيارة رمس مولاه**»(1).

3 ـ النتيجة الطبيعية لكل هذه التصريحات والإشارات والتلميحات أن إسرائيل اعترفت بالبهائية اعترافًا رسميًّا حسبما صرّح شوقي أفندي نفسه بقوله:

«**لقد ظهر مصداق الوعد الإلهي لأبناء الخليل ووارثي الكليم، فاستقرت دولة إسرائيل في أرض الأقدس وارتبطت بعلاقات متينة بمركز الجامعة الدولية البهائية، وأقرّت باستقلال وأصالة الشريعة الإلهية، واعترفت بعقود الزواج البهائية، وعفت عن ضرائب كافة الموقوفات الأمرية (أي البهائية) في مرج عكا وجبل الكرمل، وكذا اللوازم الضرورية لتشييد بنيان مقام الأعلى (أي الباب) وأقرّت برسمية الأيام التسعة المباركة**»(2).

وأخيرًا وليس آخرًا، ورد في كتاب (أبناء إبراهيم البهائيون) ما يلي:

---

(1) **مجلة أخبار أمري**، عدد 1 و2 ارديبهشت 1332.

(2) الأيام التسعة هي الأعياد البهائية وهي: النوروز والرضوان، ذكرى ميلاد الباب وميلاد بهاء الله، وعيد بعثة الباب وغيرها/ عن **توقيعات مباركة حضرت ولي أمر الله**، ص 290.

«إن إسرائيل تنظر اليوم بعين ارتياح إلى الحركة السياحية المتّجهة صوب العتبات البهائية في عكا وحيفا التي يقصدها الزوّار البهائيون بعشرات الآلاف سنويًّا»[1].

ولتتويج العلاقات بين البهائية والصهيونية **«زار حضرة رئيس الجمهورية الإسرائيلية، تصحبه عقيلته، ورئيس بلدية حيفا وعقيلته، وجمع كبير من المسؤولين الإسرائيليين، المركز العام البهائي بصفة رسمية، وقدّم حضرة الرئيس دعواته وتحياته لجميع البهائيين في العالم، وبعد استلامه هدية الذات المباركة أرسل رسالة يعبّر فيها عن عواطف الصداقة، والتقدير التي تكنّها للجامعة البهائية..»[2].**

(1) Christian Cannuyer - ***Filsd Abbraham, Les Baha is Belgique Editions Brepols .32 1987- P/1694***. أُرگان محفل ملّي بهائيان.

(2) المصدر السابق نفسه.

هامش سياسي واضح

ويخلص المراقبون في دائرة المعارف الشيعية إلى أن هذه الفرق والحركات وآخرها الحركة الإخبارية أو امتداداتها إنما هي إفراز للصراع الدفين بين المؤسسة الدينية من جهة والسلطة الصفوية من جهة أخرى، والسياق التاريخي يشير إلى أن الشاه عباس الصفوي كان مستفيدًا من دعم هذه الحركة لإضعاف نفوذ الفقهاء السياسيين والمؤسسات التي بُنيت على أكتافهم منذ عهد المحقّق الكركي المتوفى سنة 940 هـ[1].

ويقدّم مراقبون أو باحثون آخرون قراءة أخرى مشابهة لهذه الفتن خلاصتها أن الاستعمار يعمل دائمًا على اصطناع فرق ومذاهب داخل البلدان الإسلامية بصورة فرقة شيعية متطرفة في العراق مثلًا، والثانية بصورة فرقة سنّية في الحجاز، يُطلق على الأولى اسم الشيخية بزعامة الشيخ أحمد الإحسائي وتلميذه كاظم الرشتي وتقوم على أساس رفع الأئمة إلى حدّ التأليه، فيما تُسمّى الثانية (الوهابية) وتقوم على أساس توجيه الاتّهامات إلى الشيعة وتكفيرهم في

---

(1) **دائرة المعارف الشيعية** ج 2 ص 235. وإن كان البعض يرى أن الحركة الإخبارية إنما جاءت كردّة فعل على منهج الأصوليين في محاولتهم وضع الأحكام التبريرية للسياسة السلطانية الصفوية، وهذا ما يحتاج إلى بحث تأريخي وفكري معمّق لتفكيك بعض الشخصيات عن عموم التيار أو بالعكس.

قوالب جافة ومتعصّبة ومتحجّرة إذ تصمهم بالشرك وتكفّر كبار علمائهم مثل الملّا صدرا والملا محسن فيض الكاشاني[1]. متجاوزة عليهم إلى حدّ الشتائم، فتصف فيض الكاشاني بأنه من أهل الغي والضلال وتطلق عليه اسم (مسيء) بدل (محسن)، وتسمّي محيي الدين بن عربي باسم (مميت الدين) وتصف كتابه (الفتوحات) بـ(الحتوفات) وتعتبره كافرًا وملحدًا...

واللافت أن الفرقة الشيخية ترعرعت في العراق، والعراق جزء تابع للدولة العثمانية السنيّة المذهب التي حدّدت نشاط علماء الشيعة ولكنها أطلقت العنان لعلماء الشيخية[2] لمواصلة دورهم في مهاجمة الوهابية وتسعير الفتن المذهبية بين مكّة وكربلاء، أو بين أهل العراق وأهل الحجاز... وهذا ما حصلت ذروته في غزو الوهابيين لمدينة كربلاء واستباحتها وقتل الآلاف من أهلها وتهديم المراقد المقدسة تحت شعارات مذهبية لم تقل إن لم تزد تهافتًا عن شعارات الطرف الآخر وإفراطه وتفريطه.

فليس من باب الصدفة مثلًا أن ينبري أحد دعاة (الجهاد) من أجل تحرير فدك (بدل تحرير فلسطين) في مدينة سبزوار الإيرانية فيرفع دعوى قضائية مستخدمًا الاستمارة التي توزعها المحاكم لأصحاب الشكاوى وذلك ضد أبي بكر مطالبًا باسترجاع جميع بساتين فدك وبالكليشه التالية:

---

(1) **الوهابية، نقد وتحليل**، د. همايون همتي، ص22، عن **قصص العلماء**، ص53.
(2) المصدر السابق ص 22 ـ 23.

المدّعي: السيد حسين علي الواعظي
المدّعى عليه: أبو بكر بن أبي قحافة
موضوع الدعوى: مزرعة فدك[1]

واستند الوهابيون إلى كتاب (شرح الزيارة) الذي كان ألّفه الشيخ الإحسائي حيث غالى فيه في الأئمة وأجاز لعن الخلفاء الثلاثة وسبّهم، فاستصدر بعض علماء أهل السنّة فتوى بجواز قتل الشيعة، وسمحت الدولة العثمانية للوهابيين بالغارة على العتبات المقدسة في العراق وحصول الذي حصل في النجف وكربلاء ومعاملة أهالي هاتين المدينتين على أنهم (مشركين) و(كفار)!![2].

وهكذا يرى الباحثون أن أساس نشوء مثل هذه الفرق والحركات إنما يبدأ كاجتهادات شخصية تقوم على تمجيد الذات وتقديسها وشق طريق جديد لحشْد المؤيدين والأنصار، وتتم تغذيته من قبل المتربصين بالمسلمين، عن طريق الدعم المادي والمعنوي حتى ينتهي الأمر بمذاهب وعقائد يقتتل المسلمون على إثبات حقانيتهم حولها، وينشغلون عن أمورهم الدنيوية وفقه معاشهم ومشاكلهم،

(1) راجع كتاب (**التشيع العلوي والتشيع الصفوي**) ـ الشهيد الدكتور علي شريعتي ـ ترجمة الأستاذ حيدر مجيد ـ دار الأمير ـ بيروت الطبعة الاولى 2002 ص 295.

(2) المؤسف أيضًا ظهور عدد من الكتب في السنين المتأخرة ـ كما ذكرنا ـ تتحدّث عن أشياء لم يعرف لها تأريخ الإسلام وجودًا بأقلام كتّاب شيعة يتحدّث أحدها عن اغتيال النبي ﷺ من قِبل أبي بكر وعمر وبعنوان صارخ، وآخر وبعنوان صارخ أيضًا (صاحب الغار، أبو بكر أم رجل آخر!؟) للكاتب نفسه، علمًا بأنها لا تمثّل رأي الشيعة ولا التشيّع وإنما شخص الكاتب والجهة التي تموّل هذه الكتب.

ويروحون خائضين في جدالات وسجالات عقائدية لا أول لها ولا آخر حتى يقعوا جميعهم صرعى مخطط سياسي يسهّل على خصومهم افتراسهم والإجهاز عليهم جميعًا في نهاية المطاف... وهذا ما حصل ويحصل دائمًا عندما تختلف الأهواء وتتدافع المصالح وتسقط الراية الكبيرة التي يلتف حولها الناس لمواجهة الخصوم الحقيقيين[1].

(1) يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر في هذا السياق: «.. وحين يُفتقد المثل الأعلى الذي تلتف حوله الطاقات وتُحشد من أجله التضحيات، تسقط الراية التي توحّد الأمة ويبقى كل إنسان مشدودًا إلى حاجاته المحدودة وإلى مصالحه الشخصية وإلى تفكيره في أموره الخاصة، أي إنّ كلّ واحد من الأمة يبدأ يفكر كيف يصبح؟ كيف يُمسي؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف يوفّر الراحة والاستقرار له ولأولاده ولعائلته». راجع **كراس المحنة** للسيد الشهيد الصدر.

دوافع نشوء القاديانية

ملاحظة: نفرد هذا العنوان للقاديانية باعتبارها فرقة أو تيارًا غير شيعي، ولا علاقة لها بالغلوّ والغلاة لدى الشيعة، إلّا أن أخطارها لم تكن أقل إن لم نقل أكثر على عموم العقل المسلم، وأنها تلتقي مع غلاة الشيعة في اختراق مبدأ النبوّة والجنوح إلى ما يخدم المحتلين وأعداء الدين. بعد أن عرفنا تاريخ نشوء القاديانية ومكان نشأتها، يمكن معرفة السبب الرئيس لنشوئها وبالأحرى إنشائها.

فعندما احتلت بريطانيا شبه القارة الهندية دخلت في معارك وسجالات حامية مع شعوب هذه القارة وعقائدها. وحين وجدت أن الدين الإسلامي هو العقيدة الراسخة في نفوس وضمائر أبناء هذه البلاد وأن الإنكليز لا يستطيعون عن طريق العنف مواجهة هذا الدين وأهله، عمدوا إلى التفكير في إيجاد فرقة دينية تحمل الإسلام شعارًا والدين عنوانًا، ومن خلال هذا الشعار والعنوان يأتون على تمزيق العقيدة من الداخل والكيان من الخارج وعبر وسائل معروفة يتقنها الإنكليز ويجيدون استخدامها، منها الإفساد الاجتماعي، والإغراء بالمال والجاه والسلطان.

وهكذا دعموا قيام حركة دينية مثل القاديانية تتحدث باسم الإسلام وتدين بمبادئه وترفع شعاراته، وتدخل في حوار مع

واحد من أسسه وتتحرك عبره في سبيل تفجيره من الداخل والانتقال منه إلى إشعال حرائق في المبادىء الأخرى...[1].

ولما كانت مبادىء الإسلام متكاملة متفاعلة مع بعضها فإن الدخول في محاربتها يكون قويًّا عند اختراق مبدأ النبوّة الذي يعتبر الأساس المتين للعقيدة الإسلامية، وإن ركوب موجة النبوّة يصلح أن يكون مدخلًا لهدم الإسلام من الداخل والهجوم على أركانه وفروعه الأخرى...

ولتحقيق هذا الغرض اتجهت عقول أصحاب هذا المخطط لتبحث عن أشخاص مؤهلين لتنفيذ هذا الدور، وتبحث أيضًا عن فكرة أو فرقة تحقق هذا الهدف، فوجدت في الميرزا غلام وذكائه وطموحه رمزًا لأداء هذا الدور، وفي أفكاره ومتبنياته مناخًا مناسبًا للنفخ في النار وتنفيذ الدور المخطط.

وحين بدأت تنفيذ المخطط واشتعلت نيران المواجهة، كان على الميرزا أن يبقى متمسكًا بأهداب الدين، حاملًا شعاراته، واقفًا داخل دائرته يدور فيها وحولها لكي يتسنى له الوصول إلى غايته في ادّعاء النبوّة والوقوف على عرشها وإصدار الأوامر باسمها في تحليل وتحريم ما يريد... وبذلك يتمّ إلغاء دور النبوّة الإيجابي في الدعوة إلى الحق والعدل والحرية، والاكتفاء بالشعارات والمنامات ومنطق الكرامات والمعجزات والمغيبات.

وهكذا كان الميرزا نصفه شرعيًّا ونصفه غير شرعي، فهو المولود المشوّه الذي يدّعي الإسلام من جانب ويرفع شعاراته

---

(1) **القاديانية**، الدكتور عبد الله سلوم السامرائي، ص 39.

وعنوانه من جانب آخر، كما أنه يزعم اعتقاده بنبوة محمد ﷺ ولكنه يُشهر خنجره ليذبح هذه النبوّة ويسفك دم ختمها الطاهر بارتداء قلنسوة خاصة ملفوفة بالعلم البريطاني.

وأثناء عملية الارتداء والالتفاف على الدين هذه يجري تفريغ الإسلام من فريضته الخامسة التي بها تُقام بقية الفرائض وهي فريضة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتنكمش غيرة المؤمنين في مقاومة الغازي بل مهادنته وتبدأ عملية التنسيق معه وتطبيع المؤمنين على تقبّله وعدم الاصطدام به...

يقول الميرزا في هذه السياق:

«**ألّفتُ كتبًا بالعربية والفارسية عن محاربة فكرة الجهاد ووزعتها في جميع البلاد العربية والشام ومصر وبغداد وأفغانستان، وأتأكد أنها تعطي تأثيرها عاجلًا أو آجلًا**»[1].

ويقول في مكان آخر:

«**أخذتُ على عهدي منذ اثنين وعشرين عامًا أني سوف أرسل الكتب التي تحارب فكرة الجهاد إلى البلدان الإسلامية**»[2] إضافة إلى ما مرّ ذكره في هذا الإطار.

(1) الميرزا غلام أحمد: **تبليغ الرسالة** ج8، ص 62
(2) المصدر السابق نفسه، ج10، ص 62.

مؤهّلات الرمز

في بداية تنفيذ مخطط اختراق الحالة الدينية عام 1870 وعبر البحث عن رموز مؤهلة لأداء هذا الدور، قامت الدوائر الإنگليزية بدراسة تقرير خاص كان أُعدّ لتحقيق هذا الهدف وقد اشتملت هذه الخطّة على ملامح عامة وخطوط عريضة أهمها:

1 ـ أن يكون المرشح لتولّي أمر هذه الدعوى واحدًا من العوائل المشهورة بعمالتها والمعروفة تاريخيًّا وعمليًّا بولائها وخدماتها للأجنبي.

2 ـ أن يكون رجل الدعوى مسلمًا وممن اشتهر في الدفاع عن الإسلام وعمل في حقل مقاومة خصومه وساهم فكريًّا في الدفاع عنه وله القدرة على الخطابة والكتابة والانتقال من موقع فكري إلى آخر وفقًا للظروف وتطوّر الأحوال.

3 ـ أن يمرّ المرشح في سجالات ثقافية صاخبة وأن يكون مستعدًا للدخول في (مختبر تجارب) ينتقل عبره من حالة إلى أخرى، ويلبس لكل حالة لبوسها، فيكون مرّة رجل دين وأخرى مُلهمًا ومتصوفًا وثالثة سياسيًّا ومنظّرًا حتى يصل في نظر مريديه إلى أرقى مراتب القداسة وخاصة عبر مزاعم الكشف والإلهام.

4 ـ أن يُختبر هذا المرشّح ويجري التأكد من إخلاصه وولائه

للإنكليز وأن يكون بحماسته مستعدًا لتبنّي بدعة منافية للإسلام والدين، وأن تُضمن أمانته للمهمة المكلّف بأدائها حتى آخر الشوط.

5 ـ أن تكون له أو فيه مواصفات الزعامة الدينية، ولديه مقومات القيادة الفكرية والاجتماعية بحيث يكون قادرًا على زعامة دعوة ترتفع لمستوى العقيدة الإسلامية...

ويبدو أن جميع هذه المواصفات كانت موجودة في شخص الميرزا غلام أحمد والذين سبقوه، وبعضها الآخر يمكن توفيرها له بالاكتساب من خلال تدريب خاص وتمريره بمراحل معينة.

فتبدأ المرحلة الأولى بمرحلة الدعاية للمؤهل أو تسميته والترويج له، ثم تبدأ المرحلة الثانية، مرحلة الكشف والإلهام، فكان من إلهامات الميرزا المذكور أنه تنبّأ بتفشّي الطاعون، وكان يردّد:

«لقد كُنت أُنبئت بوقوع هذا البلاء العظيم قبل اليوم بعشرين سنة... مع ما كُنت بُشرت به إذ ذاك من البركات الخاصة لدعوتي...»[1].

أما المرحلة الثالثة فتبدأ بإلقاء الحجّة والتجديد، وإثبات الخوارق والمعجزات التي تكسبه صيتًا عاليًا، وتمكّنه من فتح بوابة المهدوية مثلًا والدخول منها إلى المسيح الموعود مسهّلة عليه ركوب حصان النبوّة (الظليّة) كما فعل الميرزا غلام والتي لا تختلف كثيرًا في فاعليتها وعملانيتها عن النبوة الحقيقية

(1) ميرزا غلام أحمد ـ **سفينة نوح**، ص 4.

وخاصة إذا حُصنت بالتأويل والكشف والإلهام وإثبات أو تثبيت المعجزات والكرامات...

يقول الميرزا:

«إن الله قد علّمني أن عيسى ابن مريم قد مات ولحق الأموات، وأما الذي كان نازلًا من السماء، فهو هذا القائم بينكم»(1).

وحين كان الطريق إلى المهدوية والعبور إلى منصة المسيح سهلًا وله ما يُسوّغه من تأويل بعض الأحاديث والروايات، كان الطريق الأكثر وعورة هو طريق النبوّة وادعاؤها، فلم يكن ليقتحمه قفزة واحدة وإنما يجري سلكه بروّية وتؤدة مخططتان، «فكان يمشي خطوة خطوة وينتقل من مرحلة إلى مرحلة فتراه يتكلم عن الإلهام والعلم الباطني والعلم اليقيني كمنزلة طبيعية يصل إليها المسلم بلزوم متابعة النبي ﷺ والاضمحلال فيه والتكلم عن صفات النبوّة وخصائصها من غير أن يُصرّح بكلمة (النبوّة) والنبي الذي يجمع هذه الخصائص والصفات وحصول ذلك لأفراد الأمة عن طريق التبعية والوساطة»(2).

وكان في مركز المسيح يُكثر من ادعّاء الغيب والحديث عن الإلهام من الذات الإلهية ويكثر من التشبيه لنفسه بصفات المسيح وبقية الأنبياء وينزّل الله سبحانه وتعالى في شخصه عن طريق البروز والفيض. وكانت هذه الادعاءات كبيرة إلّا أنه عمل على تغطيتها بستار التشبيه وتغليفها ببرقع التأويل، ثم لوّنها بألوان (التبعية والظلّية والامتداد) في سبيل أن يروّض المسلمين

(1) ميرزا غلام أحمد ـ **سفينة نوح**، ص 19 ـ **الخطب الإلهامية**.
(2) الندوي: **القادياني والقاديانية**، ص 45.

على قبول دعوته، فادّعى أن (باب النبوة لم يُغلق كليًّا لأنه لم يغلق باب نزول جبريل على شكل وحي)، وكان يردّد:

«**مذهبنا أن الدين الذي انقطعت فيه سلسلة النبوّة ليس بدين حي، ونقول للأديان الأخرى إنها ليست حيّة لأجل أنه لم تبق فيها سلسلة النبوّة مثل اليهودية والمسيحية والهندوكية، فإذا كان حال الإسلام كذلك لا يكون هناك أي فرق بين الإسلام والديانات الأخرى. . .**».

إلى أن يقول:

«**. . . منذ سنوات عديدة ينزل علينا وحي من الله، وهناك عدة آيات تشهد على ذلك ولأجل ذلك نحن أنبياء ولا ينبغي الإخفاء في تبليغ الأمر الحق**»(1).

وهكذا بدا أنه (نبي على أساس التبعية) لأن الدين الذي ينقطع عنه الوحي الإلهي ـ حسب زعمه «لا يستحق أن يُقال له إنه دين الله بل أحقّ أن يُقال إنه دين الشيطان»(2).

ولم يكتف الميرزا (بنبوّة التبعية) بل انتقل إلى نبوّة أخرى أطلق عليها (النبوّة الظلية) ـ كما مرّ ـ فقال:

«**إن النبوّة ليست شيئًا مستقلًّا بذاته بل الواقع هو أنها درجة من درجات ترقّي الإنسان، يتدرّج في محبة الله من درجة إلى أخرى، من درجة الصالحين إلى درجة الشهداء، ومن درجة الشهداء إلى درجة الصديقين، وعندما يتجاوز هذه الدرجة الأخيرة يصبح حامل الأسرار الإلهية**»(3).

---

(1) محمود أحمد بن الميرزا: **حقيقة النبوة** ص 272 .**القاديانية**، الدكتور مرائي ص75.

(2) الميرزا غلام أحمد: **ضميمة براهين أحمدية**، المجلد الخامس، ص 139.

(3) الميرزا غلام أحمد: **نزول المسيح وقاديان مذهب**، ص 199.

جاءت حركة القاديانية في طول هذه المدعيات، لا عرضها على يد غلام أحمد وادّعت ما ادّعته سابقاتها مضيفةً أن الميرزا غلام هذا هو تجلّي المسيح الموعود والمهدي المنتظر وكذلك تجلّي الحقيقة المحمدية ـ كما مر ذكره ـ لتستوعب الأديان كلها وتبشر بعقيدة جديدة خلاصتها إلغاء الأديان السماوية الثلاثة واستبدالها بعقيدة جديدة تقوم في أساسها على الولاء للإنكليز باعتبارهم «خلفاء الله في الأرض ولا يجوز الخروج عليهم»[1] مضيفًا:

«**إن الله تعالى قال:** ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[2]، ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾[3] ، فالمراد من أولي الأمر هنا هو الملك المعظم، ولذا أنا أنصح مريدي وأشياعي بأن يُدخلوا الإنكليز في أولي الأمر ويطيعونهم من صميم قلوبهم»[4].

أما عن علاقة القاديانية بالصهيونية، فقد نسّقت الأولى مواقفها مع الأخيرة بشكل مباشر قبل قيام إسرائيل. وبعد قيام الدولة العبرية وافقت إسرائيل على فتح مركز كبير للقاديانية في حيفا، ولا يتردد القاديانيون عن الحديث بفخر عن هذا المركز، إذ يقولون:

«**إن المركز القادياني يقع في حيفا... ونحن نملك هناك مسجدًا وبيتًا للمركز ومكتبة عامة للمطالعة، ومكتبة**

(1) الحافظ إحسان الهي ظهير: **القاديانية**، ص 20.
(2) سورة آل عمران، الآية: 32.
(3) سورة النساء، الآية: 59.
(4) الحافظ إحسان الهي ظهير: **القاديانية**، ص 26.

خاصة لبيع الكتب، ومدرسة، ويصدر المركز مجلة شهرية باسم (البشرى) التي تُرسَل إلى ثلاثين بلدًا عربيًّا مختلفًا، وقد ترجَم المركز أكثر مؤلفات المسيح الموعود إلى العربية... إن حركة القاديانية تأثرت من تقسيم فلسطين من عدّة وجوه وإن المسلمين الذين بقوا في إسرائيل قد أخذوا من المركز الفوائد الجمّة، ومركزنا لا يضيع أي فرصة لخدمتهم، وقبل مدّة زار وفد من المركز رئيس بلدية حيفا وبحث معه عدة مواضيع وأبدى رئيس البلدية استعداده لبناء مدرسة لنا في (كبابير) وجاء بعد ذلك برفقة أربع شخصيات معروفة في حيفا عندنا فاستقبلهم جماعتنا وطلبة المدارس وأقاموا احتفالًا خاصًّا للترحيب به.. ويمكن للقاديانيين أن يعرفوا مكانتنا في إسرائيل بأمر بسيط بأن (مُبلّغنا) جوهرري محمد شريف حينما أراد الرجوع من إسرائيل إلى باكستان سنة 1956 أرسل إليه رئيس دولة إسرائيل طالبًا بأن يزوره قبل مغادرته البلاد، فاغتنم المبشّر هذه الزيارة وقدّم إليه القرآن المترجم إلى الألمانية الذي قبله الرئيس بكل سرور، وقد نُشرت تفاصيل اللقاءات في الصحف الإسرائيلية كما أذيع في الإذاعة...»[1].

وخلاصة القول، ومن قراءة هذه العلاقة المتينة بين القاديانية والإنكليز والصهانية وتأكيد القاديانيين على إلغاء فكرة الجهاد، يمكن القول إن هذه الفرقة إنما أوجدت لتحريف آراء المسلمين وإبعادهم عن فكرة تحرير الإنسان

(1) الحافظ إحسان الهي ظهير: **القاديانية**، ص 47 ـ 48.

المضطهد عبر نشر إسلام مزيّف، أي التخلّي عن قراءة الدين كرسالة عدل وشعائر تحرير، ومشعل حرية، واستبداله بدولة راكدة لارسالة لها ولا هدف ولا ثورة، وهذا يعني إشغال الإنسان المسلم بالأرض أي الوحل والطين واستحقاقاتها والاستغراق في ملذاتها التي لا تنتهي... وبالتالي تفريغ الدين من محتواه الحقيقي وقدرته على استنهاض الإنسان لتحرير أخيه الإنسان، ونخره من الداخل، وإلغاء فكرة الثورة تحت استحقاقات السلطة، وهذا يعني في نهاية المطاف ترْك الظالمين يعبثون في أرض الله وعباد الله بلا وازع من دين أو ضمير، أو رادع من ثائر أو مجاهد أو مكافح.

على هامش الغلوّ المعاصر

لعل أوضح خيوط التشابه بين غلاة الأمس وغلاة اليوم هو استخدام الألفاظ والعبارات في تأويلات متعمّدة وتوجيهات مقصودة تهدف لإعداد المتلقّي لتقبّل فكرة صارخة، عسيرة على الهضم، عصيّة على الفهم، يُترك تفسيرها أو تأويلها لمفسّرها أو مؤوّلها، تمامًا كما تُترك اللوحة في ما يُسمى الفن التشكيلي لإيضاحات صاحبها وتفسيراته وذوقه وتأويلاته.

ولما كانت تعريفات العصمة والمعصية مثلًا والوحي والشفاعة والتوسل والولاية التكوينية وعوالم الملكوت والجبروت موضع اختلافٍ بين الناس أو فهمهم، يأتي بعض الكتّاب الشيعة اليوم، أو المحسوبون عليهم، لتأويل (السهو والمعصية والوحي والإيحاء ونور الجبروت ونور النور وسرّ النور والسرّ المستودع في فيض النور) لما يخدم الهدف الذي يبيّتون النيّة من أجل الوصول له أو إيصال القارىء أو المستمع البسيط إليه[1].

«يُروى عن جابر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «**أمرنا سرّ مستور في سرّ، وسرّ مستسّر، وسرّ لا يفيده إلّا سرّ،**

(1) راجع موضوع العصمة في الفصل الأول من كتاب (**أزمة العقل الشيعي**) فصل (مصطلحات مدمرة معمرة) للمؤلف.

وسرّ على سرّ، مقنّع بسرّ» وروي أيضًا أنه قال: «**أمرنا سرّ مستور في سرّ، مقنّع بالميثاق: من هتكه أذلّه الله**»[1].

وعن سند آخر لابن محبوب عن مرازم، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام **أمرنا هو الحقّ وحق الحق، وهو الظاهر وباطن الباطن، وهو السرّ وسرّ السر، والسرّ المستتر، وسرّ مقنّع بسرّ**، إلى أن يأتي أحدهم ليؤكّد تفسيره لهذا السرّ أو سرّ السرّ أو سرّ سرّ السرّ بأنه «**عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية**» قائلًا:

«**للربوبية سرّ لو كُشفت بَطلت النبوّة**» معترفًا أن هذا في سرّ الله تعالى (والحمد لله)، أما في سرّ النبوّة، فيقول: «**للنبوّة سرّ لو ظهر لبطَل العلم**» وهكذا «**للعلماء سرّ لو أظهره الله لبطلت الأحكام**»، والأخطر من ذلك كله كما يقول هذا الكاتب المعاصر:

«**للربوبية سرّ لو ظهر بَطلت الربوبية**»[2].

أما تفسير هؤلاء المعاصرين لهذه الأسرار والبواطن والألطاف فلا يختلف كثيرًا عن تفسير السابقين، فقد قال أحدهم في تفسير (أسرار) التوسّل مثلًا، : إن من جملة ما توسّل به آدم من ربّه لغفران ذنبه هو «الكلمات التي تلقّاها من الله تعالى وتاب بها عليه تبارك وتعالى، ولقد فُسرت هذه

---

(1) الأسرار الفاطمية ـ الشيخ محمد فاضل المسعودي ـ ط 1، سنة 2001م ـ ص 51 عن بصائر الدرجات 1 / 48.

(2) **الأسرار العلوية**، الشيخ محمد فاضل المسعودي ـ الطبعة الأولى 1421 هـ / 2000 م ـ تقديم آية الله عادل العلوي ص 41، ولا أدري أين عرف صاحبنا هذا السرّ الذي لم يعرفه غيره، وكيف اطّلع عليه هو وحده ليؤكد هذه الحقيقة البائسة وغير المسؤولة في دين الناس.

الكلمات (والقول لصاحب هذا الرأي طبعًا) بأصحاب الكساء الخمسة: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ أي إن ذلك هو تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، و(إن آدم رأى مكتوبًا على العرش أسماء معظّمة مكرّمة فسأل عنها فقيل له: هذه أسماء أجلّ الخلق منزلةً عند الله تعالى)[2].

ومن تأويلاتهم السرّانية الباطنية للحديث الشريف (المعراجي) القائل:

«**يا أحمد، لولاك لما خلقتُ الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما**» وقولهم: «**ولا فرق بين الأحد والأحمد إلّا ميم الممكنات التي غرقَ فيها كل شيء**»[3]. وأكثر من ذلك:

«**إن الله سبحانه وتعالى خلق عالم الملك ـ وهو عالم الناسوت ـ على وزان عالم الملكوت ـ وهو عالم الأرواح ـ، والملكوت على وزان الجبروت ـ وهو عالم العقول ـ حتى يستدلّ بالملك على الملكوت وبالملكوت على الجبروت**»[4].

وهو قريب مما كتبه أحد أنصار (الولاية التكوينية) المارّ الذكر، الذي قال: «**إن إمام العصر صار عبدًا ولما صار عبدًا صار ربًّا، فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية**» مضيفًا:

(1) سورة البقرة، الآية: 37.
(2) **الأسرار الفاطمية**، المصدر السابق، ص 51، 31.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 19.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 15.

«إن هناك رياضة روحية خاصة تمكّن الذين يمارسونها من رؤية ومشاهدة واقعة يوم عاشوراء» و«إن الزهراء هي ليلة القدر ومنزل القرآن»[1].

ومن هذه التأويلات أيضًا تفسيرهم للآية القرآنية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾[2] المشكاة محمد ﷺ، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، المصباح عليّ عليه السلام، ﴿فِى زُجَاجَةٍ﴾، الزجاجة: الحسن والحسين، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ هو علي بن الحسين، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ محمد بن علي، ﴿زَيْتُونَةٍ﴾: جعفر بن محمد، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾: موسى بن جعفر، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: علي بن موسى الرضا...[3] وهكذا إلى ما لا أساس له ولا ارتكاز، تمامًا كما هو أساس ارتكاز هذا المؤلف الذي وصف الإمام عليّ عليه السلام بأنه (النقطة المستحيلة التأويل)[4].

ويعني بها ما عناه صاحب هذا الوصف بأنها (قبة سيد الأوصياء) ـ حسب تعبيره ـ.

هي باء مقلوبة فوق تلك الـ نقطة المستحيلة التأويلِ

والتي يضيف بعدها في كتابه نفسه:

«إن الثمرة اليانعة التي نجتنيها من كل هذه الأحاديث

---

(1) **مقتطفات ولائية**، آية الله العظمى الشيخ الوحيدي الخراساني ـ مصدر سابق طبعة سنة 1996 الصفحات 39، 41، 91.

(2) سورة النور، الأية: 35.

(3) **الشهادة الثالثة المقدسة**، عبد الحليم الغزي ط 1 / سنة 1414هـ قم المقدسة نقلًا عن كتاب **روضة الأمثال**، الشيخ أحمد الكوزة كناني.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 7.

النورية أن جوهر الأديان السماوية عمومًا وعلى الإطلاق متقوّم بالنورية المحمدية العلوية المقدسة»[1].

وعن «التمازج الحقيقي المعنوي بين الحقيقتين النوريتين المحمدية والعلوية» ! يحاول الكاتب المعاصر أن يوصي (المحبين) أن يطيلوا النظرة في هاتين (الحقيقتين النوريتين) لتفسير امتزاج الشهادة الثانية في الأذان مثلًا مع ما سمّاه (الشهادة الثالثة المقدسة) أي (أشهد أن عليًّا وليّ الله) فيروح قائلًا :

«**إن هذا التمازج المعنوي ظاهر في الجنبة النورية الذاتية، وفي الجنبة العرضية، وما يرتبط بهما من آثار خارجية لا بمعنى الحلولية، أو التناسخ، أو الوحدة في الوجود والموجود معًا، من دون الكثرة واختلاف المراتب وتباين المظاهر، وإنما من جهة توحّد الجوهرية فيها بلحاظ جامعية الأسماء الحسنى المشرقة في كلّ من الحقيقتين جمالًا وجلالًا**»[2].

ولم يتردد هذا الكاتب المعاصر أيضًا أنْ يذكرنا بما كتبه (البهاء) حول (النبي الظلّي) فيقول:

«**فللأشياء وجود نوري حقيقي، ووجود شبحي ظلّي ولها وجود ماديّ، وآخر معنوي، أو قل لها وجود خارجي، ووجود ذهني، وكذا وجود لفظي ووجود كتبي، وغير ذلك من مراتب وجود الشيء بحسب الحيثيات الفلسفية المنظور منها وبها إلى وجود الشيء وموجوديته**»[3].

---

(1) **الشهادة الثالثة المقدسة**، عبد الحليم الغزي ط1/سنة 1414هـ، قم المقدسة نقلًا عن كتاب **روضة الأمثال**، الشيخ أحمد الكوزة كناني، ص 172.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 179.

(3) المصدر السابق نفسه ص 180.

ويصل الأمر بهذا الكاتب المحب العاشق أن يقول في (تنبيهٍ) له على ما أورده في أن عليًّا عليه السلام حجة على الخلائق أجمعين قوله:

«**وتنبيه على أن أمير المؤمنين أفضل النبيّين والمرسلين (لاحظ بلا استثناء) حيث ثبت من طريق المؤالف والمخالف، أن الله سبحانه سماه أمير المؤمنين وأمّره على ذرية آدم وهم ذرّ وأقرّوا له بذلك، والأمير أفضل من المؤمّر عليه**»(1) أي إنه تعالى ـ حسب رأي هذا (العاشق) ـ أمّره على جميع الأنبياء بلا استثناء، بمن فيهم نبينا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم طبعًا!!!

وفي معرض تقديسه (للشهادة) التي لم يؤكّد وجوبها نبي أو إمام بل أنها ليست جزءًا أصلًا من الأذان والإقامة بإجماع فقهاء الشيعة يضع، هذا الكاتب فصله السابع تحت عنوان «**الشهادة الثالثة المقدسة وقُطَيْرة** (لاحظ قُطيرة) **من بحار بحار بحار خصائصها المنيفة**». ثم يضع لكل (قطيرة) عنوانًا جاء بعضها كما يلي:

«**نور نبوي علوي... إنها أصل الإسلام ومعدنه نسبةً لقوله تعالى** ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾(2) وإنها (حقيقة السلم) التي أمر الله تعالى بقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾(3) وهي «**روح الإيمان بل هي الدين بكل معانيه ومضامينه... بل هي الحق وحق الحق، وهي الصراط الإلهي المستقيم وهي السبيل الإلهي القويم وإنها حقيقة الهدى والهداية وكذلك هي مَشرق النور الإلهي الشريف وهي معنى الحياة الواقعية وهي الرحمة الموصولة**

---

(1) **الشهادة الثالثة المقدسة**، عبد الحليم الغزي ط1/ سنة 1414هـ، قم المقدسة نقلًا عن كتاب **روضة الأمثال**، الشيخ أحمد الكوزة كناني، ص 372.

(2) سورة آل عمران، الآية: 19.

(3) سورة البقرة، الآية: 208.

الواسطة وإنها النعمة الإلهية السابغة، وهي الحسنة الحسنى التي لا مثلها حسنة...».

وأخيرًا وليس آخرًا

«إنها هي الوسيلة التي تقودنا إلى النجاة الحتمية، والطريقة التي من استقام عليها فاز واهتدى»[1].

مركّزًا في كل ذلك على الآيات القرآنية الكريمة المؤوّلة طبعًا حيث يأخذ كلمة واحدة من كل عبارة وينتزع لها من القرآن الكريم آية أو آيات ويطبقها على (مشروعه) فيأخذ (الوسيلة) مثلًا في كتاب الله ويستشهد بها على أن الوسيلة هذه هي «الشهادة الثالثة» أو ما تعنيه ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[2] و﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[3] و﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾[4] والرحمة هي ولاية علي. ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[5] أي الويل لمن كذّب بولاية علي. و﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾[6] فالظاهرة: النبي والباطنة: علي. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾[7] ونور الله هنا هو علي. وهكذا في ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾[8] وعشرات بل مئات الآيات القرآنية الكريمة المشابهة.

---

(1) **الشهادة الثالثة المقدسة**، عبد الحليم الغزي ط1/ سنة 1414هـ، قم المقدسة نقلًا عن كتاب **روضة الأمثال**، الشيخ أحمد الكوزة كناني، ص 439 ـ 454.
(2) سورة المائدة، الآية: 35.
(3) سورة الإسراء، الآية: 37.
(4) سورة الشورى، الآية: 8.
(5) سورة الليل، الآية: 9.
(6) سورة لقمان، الآية: 20.
(7) سورة التوبة، الآية: 32.
(8) سورة التغابن، الآية: 8.

وفي غمرة هذا الحب أو هذا (الغرام) (الذي نحسن الظن به طبعًا) يجنح هذا الحب ويروح يقول أو يردد قول من قال:

يــاعَــذولــي فــي غــرامــي خــلّــنــي عــنــك وحــالــي
رُح إلـــى مـــن هـــو نـــاج واطّــرحــنــي وضــلالــي
كــلــمــا ازددت مــديــحــاً فــيــه قــالــوا: لا تُــغــالِ

ولا يتردد أن يختتم هذا العاشق كتابه بنجوى لا توجّه إلّا إلى الخالق سبحانه فيقول مخاطبًا عليًّا عليه السلام: «**يا ملاذي ويا حرزي، ويا كهفي الحصين، فوالله لا أفوز سيدي إلّا إذا قبلتني ـ ولك المنة والثناء ـ عُبيدًا لعبيد عبيد عبيدكم يا مولى الموالي**»(1). عُبيدكم الآبق (فلان).

---

(1) ولا نريد أن نسيء الظن هنا بالمتوسلين بالأئمة عليهم السلام وتفسيرهم للآية الكريمة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35]، ولكننا نودّ التنبيه أن بعض هؤلاء المتوسلين سحبوا وسيلة التوسّل هذه إلى العلماء والفقهاء المنصوبين من قِبل الأئمة، إذ كتب أحدهم قائلًا:

(بل الظاهر من كتاب (**تفسير القرآن والعقل**) ـ وإن كنا لم نعثر على هذا المصدر ـ هو شمول الآية الكريمة للمنصوبين من قِبل الأئمة عليهم السلام كالفقهاء في زمن الغيبة أيضًا، فإنهم وسيلة إلى التوسل إلى الله تعالى، ولا بأس بذلك لأنهم مما يُتقرّب بهم الله تعالى بسبب نصب الأئمة لهم...)

والغريب أن هذا الكاتب يضيف قائلًا:

(اذْ ليس لكل أحد أن يتّصل بالله من دون واسطة، فلو أراد أحد لا يكون من شأنه ذلك أن يتصل من دون الواسطة يهوي ويسقط... فالاتصال في زمن النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام يكون لازمًا، بل في زمن الغيبة يكون الاتصال بحبل المنصوبين، لأن يتصل الحبل إليهم يكون لازمًا...) ـ راجع كتاب (**التوسل**) ـ الأستاذ المحقق آية الله محسن الخرازي ـ مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ عن مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ـ إيران، قم، الطبعة الاولى/سنة 2001. ص 14، 13.

وهنا لا أريد إلّا أن أنقل رأيًا آخر لكاتب شيعي معاصر يردّ على هذه الهرطقات وهو الدكتور حسين المدرسي الطباطبائي في كتابه المعروف «**تطوّر المباني الفكرية للتشيّع في القرون الثلاثة الأولى**» والذي ترجمه عن الإنكليزية الدكتور فخري مشكور عام 1423. يقول المؤلف حول موضوع الشهادة الثالثة وتحديدًا في ص 72 و73 ما نصه:

«ثم اتّبع المفوّضة في العصور المتأخرة نهجًا آخر هو تبرئة أنفسهم من صفة (المفوّضة) وذلك بالادعاء بأن هذه الفرقة كانت في زمن الأئمة ثم انقرضت ومحيت من الوجود... ولم تكن جهود المفوّضة الحثيثة والمتواصلة في نشر عقائدهم عقيمة تمامًا، فقد تغلغلت في المذهب الشيعي، وكمثال على ذلك إضافة الشهادة الثالثة إلى الأذان، وهي التي يصرّح الشيخ الصدوق بأنها من بدعهم وشعاراتهم[1]، والتي أصبحت شعارًا وتقليدًا للشيعة، بالرغم من اعتراض أو عدم موافقة الكثير من فقهاء الشيعة»[2].

ثم يفرد المؤلف لذلك هامشًا يقول فيه:

«يبدو أن إضافة الشهادة الثالثة لم تكن مذكورة في الأذان، قبل أن يأمر بها الشاه إسماعيل الصفوي

(1) **من لا يحضره الفقيه**، 1: 290.

(2) راجع على سبيل المثال: **نهاية الشيخ** 69 / كتاب **النقض**: 97 / **المعتبر للمحقق** 2: 141 **تذكرة العلامة** 1: 105 / **الذكرى**: 170 / **اللمعة**: 12 / **روض الجنان**: 242 / **الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية** 1: 240 / **مجمع الفائدة والبرهان** 2: 181 / **لوامع صاحب قرآني** 1: 182 / **ذخيرة السبزواري**: 254 / **المفاتيح للفيض** 1: 118 / **كشف الغطاء**: 227 ـ 228.

عام. . 907. ويذكر الميرزا محمد الإخباري في رسالة (الشهادة بالولاية): 181 ـ 183 أنّ فقيه الشيعة الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت 1228) أرسل إلى فتحعلي شاه القاجاري (1212 ـ 1250) يطلب منه منع الشهادة الثالثة في الأذان»[1]. ويضيف:

«وفي النصف الثاني من نفس القرن حاول علماء الهند الشيعة أن يقنعوا الشيعة بحذفها إلّا إنهم فشلوا»[2].

وفي هذا السياق يعلّق صاحب كتاب «مشرعة بحار الأنوار» آية الله الشيخ محمد آصف محسني[3] ما نصه:

«**إن هذا الباب فيه 28 رواية غير معتبرة..**» ويضيف معلقًا:

«**وإن صحّ سند الأولى لكان فيه دلالة على استحباب الشهادة الثالثة في الأذان لكنها مرسلة وبعض من يحب الفتوى بكل ضعيف وموهون من أهل العصر أفتى لأجلها بذلك استجلابًا لقلوب عوام الناس لا سيما في الهند وباكستان، هدانا الله للحقائق**»[4].

---

(1) توجد نسخة من رسالة كاشف الغطاء هذه في قم تحت اسم «**رسالة في المنع من الشهادة بالولاية في الأذان**». راجع فهرست «**مائة وستّون نسخة خطية لرضا استادي**: 55».

(2) **أعيان الشيعة** 2: 205 / **ريحانة الأدب** 4: 229.

(3) بداية المجلد الثاني من كتابه ص5 وتحت عنوان «باب البحار إن أسمائهم (أي الأئمة) مكتوبة على العرش» 27: 1.

(4) جدير ذكره أن صاحب هذا الكتاب قد وضع هذه المشرعة ـ كما يقول ـ (حتى يعلم أهل العلم المتوسّطين أن في بحار العلامة المجلسي جراثيم مضرّة =

= لشاربها ومواد غير صحيّة لا بدّ من الاجتناب عنها وأشياء مشكوكة ومشتبهة وجب التوقّف فيها، ومن يشرب من بحار أنواره فليجىء إلى المشرعة فإنها مناسبة للاستسقاء). ج ا ـ المقدمة ص 11. ويضيف في مكان آخر ولو كنتُ عند المؤلف المتتبع رحمه الله لالتمسته، بل أقسمت عليه أن لا يضيّع وقته المبارك ولا يسرف في القرطاس بكتابة هذه الأمور كما ابتلي بها صاحب **الدروع الواقية** وغيره. ج 2 ـ ص 281.

الارتطام الذي لا بدَّ مـنه

وحين يرتطم بعض الكتّاب المعاصرين بالواقع مضطرين إلى الاعتراف «**باختلاف الناس في معنى الأسماء والصفات والأفعال، والقضاء والقدر والجبر والتفويض والعذاب والبرزخ، والثواب والعقاب**»[1] **وإلحاح نظرية الشورى على عقول كتّاب آخرين، وإن الإمامة مثلًا لا يُشترط فيها إلّا العدالة والعلم المتعارف، يلجأون إلى طرح نظرية العصمة المطلقة والعلم الكامل الخاص من غير كسب متعارف**[2] **فيحشرون أنفسهم في زاوية خانقة تقول: بأن الإمامة (عهد الهي) و(جعلٌ رباني) ناسين التدافع بين (العهد والجعل) من جهة، وبين (الجبر والتفويض) من جهة أخرى، وبالتالي يضطرون إلى ليّ عنق النصوص القرآنية قائلين إن الإمامة وما يتبعها ليست أمرًا وشأنًا من شؤون الناس بل هي عهد إلهي حسب تأويلهم هذا لقوله تعالى:** ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] أو ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[4] مستترين وراء نص آخر مفاده: «**إن الناس ينتفعون بالحجة، كما ينتفعون بالشمسِ إذا سترها السحاب**»[5]

---

(1) **الميزان** 1: 5.
(2) **العصمة**: محاضرات السيد كمال الحيدري، ص 12.
(3) سورة البقرة، الآية: 124.
(4) سورة السجدة، الآية: 24.
(5) **بحار الأنوار**، 23: 5.

متلفعين بنص قرآني كريم آخر وضعوا نقشه قبل أن يثبتوا عرشهم ـ كما يقال ـ مختبئين تحته أو فيه مؤولين ومتأولين لآيات الله البينات ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(1) وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(2)، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(3)، ثم يجدون أنفسهم مضطرين لوضع عناوين موهمة تبدأ بتقسيمهم العصمة إلى نسبية ومطلقة وإن الثانية لا تختلف عن الأولى في مفادها ومضمونها، وإنما في سعة الدائرة وضيقها (لاحظ)(4). وهل (العلم منشأ للعصمة) أم العكس، وما هو الفرق بين العلم الحضوري والعلم الحصولي وكيف أن العصمة (لطفٌ يصنعه الله تعالى بالعبد) ولكنها في الوقت نفسه تأتي من غير (التدخل ليد السماء في توجيه المعصوم نحو الطاعة وحذف قدرته على المعصية...)(5) وهكذا إلى ما لا نريد الغوص فيه مرة أخرى.

ونكتفي بما نقله الشهيد الثاني زين الدين علي بن أحمد العاملي في كتابه (**حقائق الإيمان**) المطبوع في قم المقدسة ـ مطبعة سيد الشهداء ـ عام 1409 هـ في الصفحة 151 حيث جاء فيها ما نصه:

«... **وليس بعيدًا الاكتفاء بالأخير على ما يظهر من حال رواتهم ومعاصريهم من شيعتهم في أحاديثهم** عليهم السلام **فإن كثيرًا**

(1) سورة القصص، الآية: 68.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 36.
(3) سورة الأنعام، الآية: 124.
(4) **العصمة**: محاضرات السيد كمال الحيدري، ص 138.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 154، 129.

منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم لخفائها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنهم علماء أبرار، يعرف ذلك من تتبّع سيرتهم وأحاديثهم. وفي كتاب آي عمر الكشي رحمه الله **جملة مطلعة على ذلك، مع أن المعلوم من سيرتهم** عليهم السلام **مع هؤلاء أنهم كانوا حاكمين بإيمانهم على عدالتهم».**

وحين يأتي هؤلاء إلى التوحيد يَغرقون ويُغرقونا معهم مرّة أخرى في منهج مضطرب لا يختلف عن قضية خلق القرآن والحشر الجسماني أو الروحاني والأزل والأبد، فيروحون يقسّمون منهجية البحث التوحيدي إلى ثلاثة أقسام هي: التوحيد الذاتي والتوحيد الصفاتي والتوحيد الأفعالي أو الإفعالي، ثم يعرضون (أفكارًا تمهيدية ومقدمات منهجية) حول ما يسمونه (التوحيد الواحدي والتوحيد الأحدي)[(1)] وحول هذين البُعدين يرحلون غاطسين إلى الأعماق مسجّلين عددًا من المقدمات (المنهجية) الأخرى فيقسمون (الوحدة) مثلًا إلى (الوحدة العددية) و(الوحدة الحقّة الحقيقية)[(2)] مستدلين على ذلك من آيات وروايات لا أول لها ولا آخر حتى ينتهون برفض الفلاسفة لـ(مقولة زيادة الداعي على الذات، ومقولة إمكان انفكاك المعلول عن علّته التامة)[(3)]. وكيف أن الله عز وجلّ «**لم يزل والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان**

---

(1) **التوحيد**، تقريرًا لدروس السيد كمال الحيدري، جواد علي كسّار، ج1، الطبعة الأولى 2000، ص39.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 51.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 370.

المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور»[1].

وهكذا حتى تنتهي المسألة، وفي الحقيقة لا تنتهي لأن سؤال ذلك الأعرابي الجاهل سيبقى قائمًا حين ألحّ بقوله على أمير المؤمنين عليه السلام: «**هل يقدر ربك أن يُدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة؟**» وكيف إنّ النقص سيبقى دائمًا في القابل دون الفاعل[2] وباختصار شديد كما ورد في كتاب التوحيد (العتيد) الذي لا نريد الغوص في تفاصيله، بل نكتفي بالتوقف عند القول المأثور: «**فكروا في الله أو في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله**» لأن التفكير في ذات الله يجرّ إلى التفكير في الصفات وهذا يجرّ إلى (الماهية والهيولى) وإلى ما لا نريد العودة إليه في سجال الطوسي والرازي الذي ندعو الله تعالى أن يكون قد عبرناه بسلام، أي بلا تكفير ولا تفسيق ولا تفجير.

(1) **التوحيد**، ص 262 عن **الأصول من الكافي** ج1، ص 107، الحديث 1.
(2) المصدر السابق نفسه ص 214.

الإفراط والتفريط

الزهراء عليها السلام نموذجًا

استعضنا عن كلمة الغلو بكلمة الإفراط لأن الأولى مثيرة وسيئة الصيت، أما كلمتا الإفراط والتفريط فيمكن التعاطي معهما باسترسال أكبر وجزمية أقل. وحين نأتي إلى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) نكتشف إفراطًا أو تفريطًا في التعاطي مع هذه الطهر البتول ! هو أقرب إلى الغلوّ منه إلى الموضوعية أو الاعتدال، وخاصة حين تنتهي الوصفيات إلى متشابكات (الحوراء الإنسية) أم (الإنسانة الحورية) حسب قول الواصفين.

وإذا أحسنّا الظن بالنوايا ولم ندخل إلى عالم السرائر فسوف ينكشف أمامنا مقدار كبير من هذا الإفراط دفعت وتدفع الزهراء ـ سلام الله عليها ـ وأتباعها ضريبته انشغالًا وارتباكًا، كان بإمكان هؤلاء الأتباع ان يكونوا بعيدين تمامًا عن هذه الأجواء أو هذه الانشغالات والارتباكات والمتشابكات.

ولعّل أوّل ما نقرأه في كتاب (الأسرار الفاطمية) مثلًا هو أنها (سلام الله عليها) «خُلقت من نور محمدي علوي قبل خلق آدم بآلاف من السنين، وإنها خُلقت حورية في صورة إنسية، ثم

تكوّنت نطفتها في أعالي الجنة، ونطقت وتحدّثت في بطن أمها... وسجدت ونطقت بالشهادتين عند ولادتها، فهي المباركة الطاهرة الصديقة الزكية الرضية المرضية المحدّثة[1] البتول، العذراء الحوراء، النورية السماوية... ومن عرفها حقيقةً فقد أدرك ليلة القدر»[2].

ولا أدري ما علاقة سيدة النساء عليها السلام هنا بليلة القدر إلّا بعد أن يؤكد هذا الكاتب (الغيور) على أنها هي ـ سلام الله عليها ـ ليلة القدر، (وهي خيرٌ من ألف شهر) (أي ألف مؤمن) حسب تأويله لهذه الآية طبعًا وعشرات الآيات البينات (الملويات) بمثل هذا التأويل المتعسف. ولكي يفسر الكاتب هذا الغوص في عالم الملكوت والجبروت وليلة القدر راحَ قائلًا:

«**وما من حرف في القرآن إلّا وله سبعون ألف معنى، وإن فاطمة عليها السلام لتعرف كل هذه المعاني، فمن عرفها حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر**» فهي ـ كما يؤكد هذا الكاتب (الملكوتي) من عمق إدراكه (الجبروتي) أنها ـ سلام الله عليها ـ:

«**القلب اللامع الذي يتجلّى فيه الغيب الجامع**»[3].

(1) المحدّثة هنا بالفتح طبعًا وليس بالكسر حسب هؤلاء، لأن المسافة شاسعة بالتأكيد بين كونها محدِّثة أي مفوّهة وبليغة وفصيحة اللسان والخطاب، وبين كونها محدَّثة أي ينزل عليها الوحي ويحدّثها ويؤنسها كما يقول هؤلاء ويؤكدون.

(2) **الأسرار الفاطمية**، ص 10.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 15.

وما دام كل حرف في القرآن الكريم له سبعون ألف معنى فلِمَ لا يكون اسمها (سلام الله عليها) الذي هو (فاطمة) مشتقًّا من اسم الله (فاطر)... وهي إذا لم تكن نبية، فلماذا لا تصل إلى مقام الولاية العظمى فتكون أفضل من الأنبياء!؟ أي ما دامت ـ سلام الله عليها ـ هي حلقة الوصل بين النبوّة والإمامة، وهي نور المنهج وحجة الحجج)[1] ـ حسب تعبيراته طبعًا ـ التي يضيف عليها مستأنفًا:

«**فالنبوّة والإمامة ـ إذن ـ في وجودها النوري، وهي تحمل أسرار الكون وما فيه، ولولا هذا المعلول المقدس لما خلق الله النبي الوصي**»[2] كما ورد في الحديث الشريف (المعراجي) المار الذكر[3].

جدير ذكره أن كاتب هذه النصوص ـ كما عرّفه صاحب الكتاب ـ (مولود بين الطلوعين)! في شهر رمضان المبارك عام 1950 وأنه يقوم بتدريس الكفاية في خارج الفقه ويحمل شهادة الدكتوراه، وله إجازة في الرواية مما يقرب من عشرين من الآيات العظام بينهم السيد المرعشي النجفي

---

(1) **الأسرار الفاطمية**، ص 16.

(2) المصدر السابق، ص 18.

(3) ولم يفُت المؤلف أن يجوّز قول المؤذن والمقيم بعد الشهادة الثالثة لاحظ (اشهد ان فاطمة الزهراء عصمة الله) مستشهدًا بشيخه الأستاذ الذي يقول: (**الزهراء جوهرة قدسية في تعيّن أنسي فهي حوراء وعصمة الله الكبرى وحقيقة العصمة، وإنها قوة نورية ملكوتية تعصم صاحبها عن كل ما يشينه من رجس الذنوب والأدناس والسهو والنسيان... وإنها ذات عصمة بلا دغدغة ووسوسة، والمكابر محجوج ومفلوج**)!! [راجع كتاب **الأسرار الفاطمية** المار الذكر ص 13 مع الهامش].

والسيد الكلبايكاني والشيخ اللنكراني والسيد عبد الله الشيرازي والسيد محمد الشاهرودي وغيرهم[1].

ولعلّ أغرب ما قرأتُ لهذا (العلامة الدكتور) وكاتب الكتاب أن نصًّا لدعاء معروف يقول: «**اللّهم إني أسألك بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها**» هو أن هذا السرّ هو (الجنين) محسن الذي تقول بعض الروايات إن الزهراء عليها السلام أسقطته في محنتها واعتداء القوم عليها، «**وإن هذا الدعاء كان ضمن الوصايا المهمة التي أعطاها الإمام الحجة ابن الحسن (عج) للسيد المرعشي النجفي في إحدى تشرّفاته بلقاء الإمام الحجة**». علمًا بأن الكاتب يؤكّد أن هذا الحديث لا سند له في أي كتاب من الكتب المتداولة ولم يُروَ عن أي معصوم من أهل بيت العصمة ـ حسب تعبيره ـ وأنه موجود فقط في كتاب (فاطمة بهجة قلب المصطفى) ص 252 بلا سند ولا تحقيق[2].

---

(1) سمعت الكاتب شخصيًّا يتحدث يومًا بعد الصلاة مباشرة على جنازة شاب مسجاة في مسجد كبير في قم المقدسة عام 1422 ناقلًا قصة غيبية قال فيها: (**إن هذا الشاب المرحوم المسجى أمامكم كان قبل أيام في زيارة إلى مسجد جمكران وهو مسجد كبير معروف يقع على أطراف مدينة قم المقدسة يتوسل بصاحب الزمان (أي الإمام الحجة ابن الحسن) أنْ يشافيه من مرضه العضال الذي ابتلي به، فجاءه صاحب الزمان في عالَم الرؤيا بعد أن أخذته سنة من نوم وأخبره بأنه سيشفى بعد عشرة أيام، وها أنكم ترون اليوم أيها الأخوة المعزّون ـ والقول للعلامة الدكتور الآية طبعًا ـ وقبل إتمام العشرة أيام أنه شفي من جميع الأمراض وذهب إلى بارئه في (تمام الصحة والعافية)!**)
وكان شهود هذا الحديث عشرات المصلين الذين صلّوا على جنازة ذلك الشاب المؤمن تغمّده الله برحمته الواسعة.

(2) السيد المرعشي النجفي هو أحد مراجع الشيعة الكبار في قم في النصف الأخير من القرن العشرين وإن الكاتب كتب كتابه الذي أورد فيه هذا اللقاء تحت عنوان **قبسات من حياة سيدنا الأستاذ المرعشي النجفي** ص 124، جاء بعد وفاة المرجع المذكور بعدة سنوات.

ويواصل هؤلاء المحبّون الذين لا نشك في طيبة بعضهم وإخلاصهم، تعبيرهم عن حبهم للزهراء البتول عليها السلام فيقولون إنها (محدَّثة) وليست (محدِّثة) فقط وإن الملائكة كانت تنزل عليها وتحدثها وتؤنسها خصوصًا بعد فقد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويردّون على خصومهم الذين يقولون إن الوحي انقطع بعد وفاة النبي وإن الملائكة نزلت على مريم عليها السلام ويؤوّلون كلمة ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[1] بنزول الملائكة أيضًا وأن الوحي هو (لغة الإعلام الخفي السريع) ـ حسب تعبيرهم ـ وهكذا ممّا لا حدود له ولا شواطىء، فيتحدثون عن عرسها عليها السلام في السماء وزفاف الملائكة لها في الملأ الأعلى وسرّ وجودها في عالم الذرّ وأنها «**قطب الأولياء والعرفاء ومعراج الأنبياء والأوصياء وأن صدرها خزانة الأسرار، ووجودها ملتقى الأنوار. وأنها كلمة التقوى والمريم الكبرى والصلاة الوسطى ملكة الأنبياء. وهي ليلة السعادة لأنها ليلة القدر وهي سرّ السعادة... وليلة القدر سرّ من أسرار الله، وفاطمة الزهراء عصمة الله وسرّ من أسراره العظمى لا يعرف حقيقتها ومقامها الرفيع وآياتها الباهرة إلّا الله ورسوله وأهل بيته الأطهار، وإنها تنزل مع الملائكة أي المؤمنين والروح فيها...**»[2] **حتى يصلوا إلى الحيض والطمث وأنها (طاهرة لا تحيض)**[3] **وأنها «خُلقت حُورية في**

---

(1) سورة القصص، الآية: 7.

(2) **الأسرار الفاطمية**، ص 369 ـ 376 نقلًا عن **تفسير البرهان والبحار وفرائد السبطين**.

(3) **بحار الأنوار**، العلامة المجلسي 43 / 16.

صورة إنسية»[1] **وأنها «ما رأت يومًا قط حمرةً ولا نفاسًا»**[2] بل أكثر من ذلك إن البعض قال إنها كانت تلد من رجلها أو إظفرها وقد كُتبت في ذلك المقالات وربما استُشهد بالأحاديث والروايات لإثبات هذه (المناقب والكرامات)!! مبتعدين تمامًا عن عظمة هذه الإنسانة الخالدة في تضحيتها وزهدها وصبرها وجهادها ومعاناتها على أرض الواقع، وكأنها ليست هي التي كنست بيتها حتى اغبرت ثيابها وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكأن بيتها لم يكن كوخًا وفراشها لم يكن جلد كبش وعباءتها ليست من أجلّة الإبل مخيطة من اثني عشر مكانًا[3]، وهي بنت المصطفى وزوجة المرتضى التي رفضت حطام الدنيا كله ونذرت نفسها للفقراء والجياع والمستضعفين وخدمة دين خاتم النبيين وسيد المرسلين، ناسين أو متناسين أنها ـ سلام الله عليها ـ لم تضع عقدًا على صدرها، ولم ترتدِ الحرير ولا الديباج ولم تجلس في قصرٍ منيف وسط الجواري والوصيفات ولم تطالب بامتيازات وشأنيات، ولم تردّ يومًا طالب حاجة وقف على بابها، وكثيرًا ما كانت تقول: «كيف أردّ الخير وقد نزل بابي» «يا بنيّ الجار قبل الدار» سلام عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها وكل الأسرار المستودعة فيها من نبل وصبر وعظمة وايثارٍ وتضحية وجهاد وفضائل قلّ أنْ وُجدت، بل لم توجد في غيرها من نساء العالمين على امتداد العصور والأزمان.

---

(1) **البحار**، ج43، ص 7.
(2) **البحار**، ج43، ص 19.
(3) راجع **البحار**، ج 73.

من الأسرار الفاطمية
إلى الأسرار العلوية

ومن الأسرار الفاطمية إلى الأسرار العلوية في كتاب آخر حيث تفضّل (العلامة آية الله السيد عادل العلوي) أيضًا بتقديم خاص للكتاب تحت عنوان (البارقة الحيدرية في الأسرار العلوية) جاء فيه:

«إلّا أنه لو كان لله عزّ وجلّ أن يتجسّد سبحانه وتعالى، ولا يتجسد لتجسّدَ في مثل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**»**[1] وان كان (حفظه الله) قد عرّف في هامش هذه الجملة الحرف (لو) بأنه حرف امتناع لامتناع، كما أنحى باللائمة على الغلوّ والغلاة وأظهر عدم ارتياحه من الشيخ الصدوق الذي كان يرى أن من لم يعتقد بسهو النبي فهو من الغلاة، قائلًا:

«فأمسى ما يعتقده الشيخ الصدوق عليه الرحمة في سهو النبي وفي الشهادة الثالثة من الشاذ النادر، والنادر كالمعدوم لا وقع له» ـ حسب تعبيره ـ وأضاف:

«ولا يخفى أن علماءنا الأعلام قد صنّفوا وألفّوا في

---

(1) **الأسرار العلوية**، الشيخ فاضل المسعودي ـ الطبعة الأولى، 1421 هـ، 2000م، ص 10.

الشهادة الثالثة مؤلفات كثيرة وبلغات مختلفة»[1] مؤكدًا أن الشهادة الثالثة هي روح الأذان والإقامة (لاحظ) تمامًا كما أن (الصراط المستقيم) هو (ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)[2] حسب تفسيره أو تطبيقه للآية الكريمة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[3] وأمثالها.

ولم يَفُت مؤلف الكتاب أن يغوص في (بحث الشخصية الروحية والمقامات الملكوتية لأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام متحفظًا عن الاقتراب مما سمّاه «الأسرار المودعة في هياكلهم التوحيدية» تاركًا معرفتهم المعرفة النورانية لأصحابهم من أمثال سلمان وأبي ذر والمقداد ـ حسب زعمه ـ، لأن أمرهم (صعب مستصعب) لا يتحمله أو يحتمله ـ حسب إيراده ـ إلّا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان). مشيرًا إلى معنى السرّ وكيف أنه (عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية) وهو «ما يخصّ كل شيء من الحق عند التوجّه الإيجابي إليه» وإنْ كان أشار قَبْل صفحة واحدة أن هذا (السرّ) «لا يحتمله (حتى) ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» مضيفًا: «والله ما كلفّ الله ذلك أحدًا غيرنا» أي (أهل البيت فقط)[4].

أما ما قاله محبّ معاصر آخر بحق أمير المؤمنين عليه السلام فللقارىء الكريم وحده حق التعليق أو التعقيب.

---

(1) **الأسرار العلوية**، الشيخ فاضل المسعودي ـ الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م، ص 15 ـ 16.

(2) **من الأسرار الفاطمية إلى الأسرار العلوية**، ص 17 ـ 18.

(3) سورة الفاتحة، الآية: 6.

(4) **من الأسرار الفاطمية إلى الأسرار العلوية**، ص 28، 38، 39، 35.

يقول المحبّ المعاصر:

يـــا نقطة الإمكان والأكـوان يـا ... مـن لـلـنهـار ولـلـظـلام مــدبّرُ
لك ملك ما في العالمين وأنت في ... الأشياء تفعل مـا تشاء وتقدر
قد حزتَ دون الكائنات مراتبا ... فيــها عقـول الأنبيـاء تتحير
يـــا أول يـــا آخـــر يـــا ظــــاهـــر ... يــا باطن يـــا مهلك يا مُنشُر
أنت الصفات وليس مثلك في العلى ... شيء أيا من في العلى متصدّر[1]

ويعلق ناشر الكتاب الذي وردت فيه هذه الأبيات قائلًا:

«**إن هذه الأبيات الستة من بعض مقاماتهم الملكوتية، سلام الله عليهم وأنهم محال مشيئته وألسن إرادته**»[2].

ولعل أغرب ما يعتقد به هؤلاء أو يصدقون به بل يروّجون له، أن النبي ﷺ بال يومًا في قارورة وأعطاها إلى أم سلمة فشربتها ورآها ولم ينهها عن ذلك[3].

وهكذا في ما يوردونه من معتقدات فاسدة مخالفة لما

---

(1) **مسائل عقائدية في الغلوّ والتفويض** ـ الخلق والرزق ـ الدكتور علاء الدين القزويني الطبعة الثانية 1998 / ص 83، نقلًا عن **الأنوار اللامعة في حياة ميرزا حسن الحائري الإحقاقي**، منشورات مكتبة الإمام الصادق ص 61ـ 62. والشاعر القائل هو الميرزا المذكور نفسه. الذي يسخر منه الدكتور القزويني طبعًا.

(2) المصدر السابق نفسه ص 56 أي **الأنوار اللامعة**.

(3) **مسائل عقائدية في الغلوّ والتفويض**، ص 88 نقلًا عن رسائل الحكمة للشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي ـ الدار العالمية ـ بيروت ط1/ 1993م، ص260، و**الرسالة التطهيرية** ـ محمد باقر الاسكوني ص63، و**مجلة الفجر الصادق** التي تصدر في الكويت العدد الثالث ص7، ولا أدري هل يتناسب هذا الفعل مع ما نعرفه عن النبي ﷺ الذي كان يقول دائمًا: (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) وهل يتناسب مع وصف ربه له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾!! [سورة القلم، الآية: 4]. لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

أجمع عليه علماء الشيعة بل علماء المسلمين وراحوا يحوكون قصصًا وحكايات لا نفع فيها ولا طائل وراءها، وكل همهم أن يثبتوا أن النبي ﷺ لم يُر على غائط قط، وإن الأرض كانت تبتلع فضلاته[1].

(1) مسائل عقائدية في الغلوّ والتفويض، ص 89.

مع بعض المعاصرين الآخرين

وإذا أردنا استعراض نماذج أخرى على هذا الإفراط من قِبل بعض كتّابنا وعلمائنا المعاصرين فلا بأس أن نتصفّح كتاب (التوحيد) مثلًا في جزئه الثاني للسيد كمال الحيدري الذي كتب تقريراته الأستاذ جواد علي كسار وتمّ طبعه في رجب ـ أيلول 1423 هـ ـ 2002 م وحيثُ أُفرد لهذا الموضوع فصل كامل تحت عنوان (**مظاهر الاسم الأعظم**) امتدّ من صفحة 395 إلى صفحة 461، وفيه يعترف الكاتب أو المقرّر «**بأن التعاطي مع الأئمة في نطاق هذه الكلمات والإيمان بأدوارهم الوجودية والتكوينية قد يُتاخم بعض ضروب الغلوّ أو الانتقاص من الدور الإلهي**» ولكنه يعود فيقرّر ما نصّه:

«**فالخلافة أو الإمامة في ظل المفهوم القرآني هي خلافة أسمائية لها بُعد وجودي ودور تكويني تنهض به، لهذا لا تقتصر مهامّها على الأمور الاعتيادية وحدها كالقيادة السياسية للأمة وتبوّء المرجعية الدينية، بل لها دورها الوجودي في نظام التكوين (لاحظ) الذي يُعبّر عن حقيقتها وباطنها**»[1].

أما شرح أو تفسير هذا الدور الوجودي فقد كان بيّنه

(1) انظر ص459 ـ 456 من كتاب **التوحيد**.

المؤلف أو المقرّر في النص الآخر[1] الذي جاء بالحرف الواحد كما يلي:

«**هذا الأفق في العلاقة بين التوحيد والإمامة قمين بأن يُعالج الالتباس الذي يشوب بعض الأذهان في أن التعاطي مع الأئمة في نطاق هذه الكمالات والإيمان بأدوارهم الوجودية والتكوينية قد يتاخم بعض ضروب الغلوّ أو الانتقاص من الدور الإلهي. كلّا، أوّلًا لأن الله سبحانه من كل كمال أشرفه وأعلاه، وإن له الكمالات المطلقة فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى...**» ويضيف:

«**وثانيًا: لأن هذا هو منطق القرآن الكريم، فكتاب الله (جلّ جلاله) يُثبت أن الله خالق كل شيء، وأن له القوة والعزم والولاية جميعًا، ومع ذلك** ـ والكلام للكاتب ـ **يعود ليُثبت هذه الأمور لغيره (أي بما فيها خلْق كل شيء) من دون أن يلزمه ذلك نقص أو يشوبه تضييق في القدرة والفاعلية الإلهية. مردّ ذلك** ـ والكلام كله للكاتب ـ **أن ما للغير ليس له على نحو الاستقلال ولا على نحو الطولية، بل هي مظاهر لله سبحانه وآيات وتجليات لأسمائه وصفاته جلّ وعلا، وهذه هي مشيئته في نظامه الأحسن**». ولعلّ هذا هو الفَرق نفسه بين ما ذكرته الكيسانية ـ كما مرة ذكره ـ في قول (فقهائها) إن قدرة الخالق تعالى أصلية بينما قدرة الأئمة فرعية، أي إنّ قدرة الأئمة في طول قدرة الله وليس في عرضها ـ حسب فهمهم ـ وهذا هو الفَرق أيضًا بين أفكار هذه الفرقة وبين الغلاة

---

(1) انظر الصفحتين 455 ـ 456 من كتاب التوحيد.

الملحدين أو المشركين الذين يرون قدرة الأئمة في عرض قدرة الله تعالى وليس في طولها كما تزعم الكيسانية.

ولم يكتف الكاتب بهذا التقرير، بل راح يتّهم الآخرين ممن لا يؤمنون بذلك، أو ممن لا يفهمون هذا الفهم على أنهم «**إنما يعيشون مشكلة على مستوى التوحيد**» حسب تعبيره[1]، مضيفًا بعشقٍ وهيامٍ واضحين:

«**إن دائرة هذه الخلافة (أي خلافة الإنسان لله تعالى) تتخطى الأرض...**» (مع اعترافهما ـ أي المؤلف والمقرّر) «**أن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الخليفة في الأرض...**» ويضيفان:

«**فليس هناك ما يدلّ على انحصار خلافته في الأرض، بل بالعكس** (ولا ندري من أين جاءا بهذه الحقيقة التي لا تقبل العكس) **فإن مقامه الوجودي ومركزه الاستخلافي وفاعليته كونه مظهرًا للاسم الأعظم، يعطي خلافته دائرة أوسع من الأرض، تمتد حتى تعمّ عالم الإمكان برمّته...**»[2].

وليس لنا أمام هذا (الحبّ) أو (العشق) إلّا أن نكرّر آيات الله البيّنات:

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[4] ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[5]،

---

(1) انظر ص456 من كتاب **التوحيد**.
(2) انظر ص458 من كتاب **التوحيد**.
(3) سورة فاطر، الآية: 3.
(4) سورة الرعد، الآية: 16.
(5) سورة الطور، الآية: 35.

وعشرات الآيات التي تجعل مسألة الخلْق والرزق من مختصات الله تعالى ودون ذلك الشرك المبين، إلّا ما ورد على سبيل المجاز والكناية كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1] أو ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾[2] لاحظ (من الطين) أي ليس من عدم، وعلى سبيل الإعجاز فقط وفقط، وكل ما عداه، لا يتاخم ضروب الغلوّ فحسب، بل هو الغلوّ بعينه، أو التفويض بعينه، أو الإفراط بعينه[3]، فعن خبر رواه الصدوق عن الإمام الرضا عليه السلام: «**ومن زعم أن الله عزّ وجلّ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض... والقائل بالتفويض مشرك**»[4].

وعنه عليه السلام أيضًا: «**من زعم أن إلينا الخلْق وعلينا الرزق فنحن منه براء**»[5].

(1) سورة المؤمنون، الآية: 14.

(2) سورة آل عمران، الآية: 49.

(3) ويذكر السيد كمال الحيدري في لقاء له مع **صحيفة المبلّغ الرسالي** الصادرة في 28 مايو/أيار 2002 وتحت عنوان الإمام علي قبل الدنيا وفي الدنيا وبعد الدنيا ما نصّه:
(... وفي رواية أخرى عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: (إن الله جعل) لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرًّا بها غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة من رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتابة في فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر...).

(4) راجع، **وسائل الشيعة** ج 28، ص 340.

(5) **تصحيح الاعتقادات للشيخ المفيد**، ص 100.

أما ما يقوله بعض المعاصرين الآخرين من أن «**إمام العصر** عليه السلام **صار عبدًا وعندما صار عبدًا صار ربًّا، لأن العبودية جوهرة كنهها الربوبية**»[1] ويضيف: «**فما دامت العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فُقد من العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية...**» **فكلها كلمات واستظهارات واستنتاجات وتأويلات لا تقوم على أي أساس علمي، ولا تنهض بأي مؤدى، إلّا ما يفهمه القائلون وحدهم، وإنْ كان ذلك لا يتعدّى فهمهم أو قولهم:**

«**إن الحديث حول إمام العصر** عليه السلام **إنما هو على نحو تبصبص الكلب حول سيده**»[2] **لا سيما وأنهم أنفسهم يعترفون قائلين:**

«**إنّ معرفة شخصية الإمام المعصوم** عليه السلام **وما خصّه به الله تعالى لا تتيسّر إلّا لمن وصل إلى مقام العصمة، فلا الفلاسفة عن طريق فلسفاتهم ونظرياتهم، ولا علماء الطبيعة عن طريق قواعدهم ووسائلهم، ولا العرفاء عن طريق عرفانهم وأدلّتهم الذوقية (قادرون على ذلك) فقط، مَن وصل إلى مقام العصمة وعاشه هو الذي يعرف المعصوم ويعرّفنا عليه...**»[3].

---

(1) راجع كتاب **مقتطفات ولائية**، آية الله العظمى الوحيد الخراساني ـ ترجمة عباس بن نخي ـ أبريل/نيسان 1996م، الكويت ـ الشرق ص 39 الطبعة الأولى ذو القعدة 1416 هـ.

(2) راجع كتاب **مقتطفات ولائية**، آية الله العظمى الوحيد الخراساني ـ ترجمة عباس بن نخي ـ أبريل/نيسان 1996م، الكويت ـ الشرق ص 39 الطبعة الأولى ذو القعدة 1416 هـ، ص 26.

(3) راجع كتاب (**الحق المبين في معرفة المعصومين**) بحوث مستفادة من محاضرات المرجع الديني الوحيد الخراساني (دام ظله) ـ بقلم علي الكوراني ـ الطبعة الأولى ـ 1423هـ، 2002، ص 440.

أما ما ورد في (مدينة المعاجز) المطبوعة حديثًا ففيه غرائب الغرائب وعجائب العجائب. فعن عبد الله بن مسعود وعلى سبيل المثال فقط، إنه قال: «**أتيتُ فاطمة صلوات الله عليها، فقلتُ لها: أين بعلك؟ فقالت: عرّج به جبرائيل إلى السماء. فقلتُ: في ماذا؟ فقالت: إن نفرًا من الملائكة تشاجروا في شيء، فسألوا حكمًا من الآدميين، فأوحى الله إليهم أن تخيروا، فاختاروا عليًّا بن أبي طالب عليه السلام**»[1]. ولا أدري هل الملائكة يتشاجرون فعلًا مع علمنا أنهم ما خُلقوا إلّا ليفعلوا ما يؤمرون كما نصّ القرآن الكريم بلا توجيه أو تأويل، ونظن أن الكاتب المحترم يقصد الجن هنا وليس الملائكة.

أما ما روي عن المقداد بن الأسود فأشدّ وأنكى، قال:

«**قال لي مولاي (أي عليّ عليه السلام) يومًا: أئتني بسيفي، فأتيتُ به، فوضعه على ركبته ثم ارتفع إلى السماء وأنا أنظر إليه حتى غاب عن عيني فلما قرب الظهر نزل وسيفه يقطر دمًا، فقلتُ يا مولاي، أين كنت؟ فقال: إن نفوسًا في الملأ الأعلى اختصمت فصعدتُ فطهرتها، فقلتُ: يا مولاي، وأمر الملأ الأعلى إليك؟ فقال يا ابن الأسود أنا حجة الله على الخلق في سماواته وأرضه وما في السماء من مَلَك يخطو قدمًا على قدم إلّا بإذني وفيّ يرتاب المبطلون**»[2].

---

(1) راجع كتاب (**الحق المبين في معرفة المعصومين**) بحوث مستفادة من محاضرات المرجع الديني الوحيد الخراساني (دام ظله) ـ بقلم علي الكوراني ـ الطبعة الأولى ـ 1423هـ، 2002، ص 90 عن عبد الرسول الاحقاقي: الولاية ـ بيروت ط 1 سنة 1992ج1، ص109.

(2) **إحقاق الحق**، الميرزا موسى الإسكوني ص 392. ولا أدري هنا أيضًا كيف يختصم الملائكة وهم كما نصّ القرآن الكريم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾!.

فعجب مما قاله الأولون ـ إن صحّ هذا القول أو هذا النقل ـ وعجب لما قاله المحدَثون[1].

ولم يكن الذي سمعته يومًا في الصحن الرضوي الشريف في صيف عام2000 بأقل غرابة من ذلك. ففي معرض الإشادة والإشارة إلى مناقب وكرامات الإمام عليّ عليه السلام، راح الواعظ والخطيب المفوّه وأمام آلاف المصلّين الذين احتشدوا في الصحن الكبير قبيل صلاة المغرب يقول: «**إن الناس لما عجزوا عن رفع باب خيبر، جاء الإمام علي عليه السلام فوضع أصابع يده اليمنى الخمسة تحتها ورفعها في الهواء، ثم حملها بإصبعه الأصغر فقط**». ولم يكتف بذلك بل أضاف:

«**ولما نظر إليه الناس شاهدوا أنّ رجليه عليه السلام كانتا طائرتين في الهواء**»!![2].

مثل هذا الأقاصيص والحكايات التي يترفّع عنها أمير المؤمنين وسيدة النساء وكل الأنبياء والأوصياء (سلام الله عليهم أجمعين) هي التي وضعت العقل الشيعي، بل ما زالت تضعه في خانق الغلوّ المؤسف، وتحشره في مواقع الدفاع عن

---

(1) ولعلّ أغرب ما سمعته يومًا من خطيب معاصر وهو في معرض تعليقه أو مقارنته بين مريم عليها السلام التي قال فيها عزّ من قائل: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 42] وبين فاطمة بنت أسد قائلًا: (حينما أرادت مريم أن تضع حملها في بيت المقدس جاءها نداء من السماء: أخرجي يا مريم، هذا بيت عبادة وليس بيت ولادة فيما فاطمة ينشق لها جدار الكعبة فتدخل فيه لتضع حملها) ناسيًا أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75].

(2) ولا يكتفي آخرون بذلك بل يضيفون أنه سلام الله عليه وضعها على كفّه وراح الناس يعبرون عليها إلى الجهة الأخرى خيلًا ورجالًا.

الكرامات والمعجزات والتنبيش في أراشيف الروايات التي لا سند لها في علم التحقيق أو (علم الرجال)، بدل أن تطلقه لأخذ دوره في مواقع الهجوم وصياغة الواقع وصناعة التاريخ.

بكلمة أخرى، ربما تكون هذه الحكايات، كلها أو بعضها خطوات ـ وخطوات غير مقصودة إن شاء الله ـ لاغتيال هذا العقل أو منعه من الحضور في واقع الإنسان ومعركة الميدان، اذْ لا فائدة بالتأكيد أو لا قدرة على الاقتداء بسلوكٍ أو تصرّفٍ لبطل قادرٍ على أن يرفع باب خيبر بإصبع واحد، أو طفلٍ رضيع يمدّ يديه من قماطه فيقطع حيّة مرعبة نصفين كانت دخلت مدينة الرسول عنوة ولم يقدر أحد على مواجهتها من سكان المدينة[1].

نعم، يمكن توصيف هذه المعجزات لمناغاة غرائزية بعض العوام وشدّهم إلى العظماء والقادة، لا للإعجاب والانبهار بهم فقط وإنما للاقتداء بأفعالهم وسلوكهم، وشريطة ألّا يكون الحديث عن هذه المعجزات والكرامات وتزويقها وتضخيمها بديلًا عن التأسي بأصحابها وصدقهم وتضحياتهم وأخلاقهم.

هذا إنْ لم نقل إن مثل هذه القصص والحكايات يمكن أن تبعد الناس عن التفكّر بقدرة الله تعالى وعظمته، وخاصة في تحويل نواة التمرة أو الثمرة إلى نخلة باسقة أو شجرة مثمرة وفق السنن ولقوانين الطبيعية الإلهية المعجزة فعلًا، وتشغلهم بقدرة هذا الشخص أو ذاك على إحداث مثل هاتين المعجزتين في لحظات ـ إن صحّت طبعًا ـ.

---

(1) مثل هذه القصة أيضًا وغيرها كثير ترويها مجالس الغلاة أو جلسات أنسهم وسمرهم دون الإشارة إلى مصادرها أو التحقيق في سندها. راجع **كتاب الإمام علي** للدكتور علي شريعتي ـ ترجمة علي الحسيني ص 189.

الفكرة المهدوية وإشكاليات طرحها

إنّ إشكالية الدين عمومًا وإشكالية الفكرة المهدوية على وجه التحديد وما يحصل حولها وفيها من تدافع واختلاف ليس مردّه، عدم وضوح الفكرة أو ارتباكها في الفكر الديني، إنما مردّه إلى اختلاط الحق بالباطل عند الناس وعدم قدرتهم، أو (قُل) قدرتهم المحدودة على الغوص في عمق الأشياء والدلالات، وإيثارهم البقاء على السطح واتّباع الطريق السهل ناهيك عما أدخله التطرّف والغلوّ في تفسير هذه الحقيقة التي اتفقت على حتمية ورودها جميع الأديان.

إنّ كلّ إنسان يعلم، أو يمكنه أن يعلم، كنه الإشكاليات إذا كانت بين حقّ بيّن وباطل بيّن، أو بين ظلماتٍ ونور، أو ظلٍ وحرور، ولكنه الجدل أو العناد، اللذَين يحاول الإنسان من خلالهما تبرير أخطائه أو إعفاء نفسه من تحمّل المسؤولية في طريق شائك طويل، وإيثاره منهج:

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1].

هذه المقدّمة يمكن أن تكون تعريفًا وتعريفًا فقط بالمهدوية باعتبارها تطلعًا بشريًا اتّفقت عليه جميع الأديان السماوية وبلا استثناء، وإن كان الدين الإسلامي أضاف إليها

(1) سورة الزخرف، الآية: 23.

بعض التوصيفات والمحدّدات تناولت بعض مواصفات المنقذ الموعود وهويته، وفي روايات معتبرة وموثقة مطالبةً المسلمين استشراف يوم ظهوره المبارك وفق السنن والقوانين الطبيعية، مؤكّدةً على دراسة المستقبل دراسة علمية واعية تقرأ شرائط الظهور ولا تقتصر على دراسة علاماته وحسب.

تشير هذه المقدمة أن هذا المنقذ العظيم لا بدّ أن يكون معصومًا كعصمة الأئمة والأنبياء[1]، لأنّ خاتمة الدنيا التي سيقيمها لا بدّ أن تكون معصومة هي الأخرى وفقًا لوعد الله وعدله ومنّه على المستضعفين الذي سيجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[2].

كما تتناول المقدمة مسألة المستقبل وكيف أنه نتاج تفاعل بين الأمة والبطل والحتم التاريخي المترشّح عن السنن الإلهية التي أودعها الباري تعالى في إعداد مقدّمات التحولات الكبرى بانتظار النور الأكبر الذي لا بدّ أنْ يشعّ بين الركن والمقام ـ كما تقول الروايات ـ وينوّر الدنيا ـ بعد هذا الظلام الدامس الطويل.

نعم، لقد بعث الله الأنبياء والرسل، ليذكّروا الناس بالمخزون الفطري الذي وضعه سبحانه في النفس البشرية عندما بدأ الخلق، وانطلقت رحلة الإنسان عند التفكّر في آفاق السماوات والأرض.

(1) بالعصمة التي يفهمها عموم المسلمين وليس بالمعنى الذي يفهمه الجهلة والغلاة.
(2) سورة القصص، الآية: 5.

وتأتي فكرة الإمام المهدي (المنقذ المخلّص) لدى جميع الأمم طموحًا واقعيًّا فاعلًا، تتطلّع إليه البشرية بمختلف أديانها ومعتقداتها، كما أنها إلهام فطري خصّ به الإنسان ليحقّق رسالات السماء بمغزاها السامي وهدفها النهائي الكبير في إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ويمكن القول إنّ هذه الفكرة أو هذا التطلّع موجود في أقدم الديانات، السماوية منها و(البشرية)، وعلى امتداد التاريخ، وعند معظم الأمم والشعوب. ففي الأسطورة الفارسية القديمة يظهر أحد أحفاد زرادشت مخلصًا لقومه، ناصرًا لهم على بقية الشعوب. ويظهر اليهود الموسويون وكأنهم دائمو التطلع نحو مخلّصهم ينتظرونه لإنقاذهم من البؤس والعذاب، وللحدّ الذي يكذّبون معظم أنبياء الله ورسله عدا ما يوافق أهواءهم ومصالحهم. وهكذا الأمر عند النصارى الذين يعتبرون السيد المسيح عليه السلام هو المنقذ وهو المخلّص savior or saviour الذي سيأتي في آخر الزمان وآخر المطاف بل هو المنجي والفادي في الدنيا والآخرة على حد سواء.

وليس المسلمون بدعًا في هذا التطلع المشروع أو هذا الطموح الكريم؛ حين يأتي تراثهم وأدبياتهم ورواياتهم لتؤكّد كلّها على وجود هذا المنقذ المخلّص الموعود الذي سيصفع فسقة الفقهاء وكذبة العلماء ـ حسب تعبير الروايات ـ وينقذ الإنسانية المعذّبة من وثنيتها الضالة وجهالتها المفرطة، ويدوس جهل المعاندين والظالمين، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا.

تقول الروايات الشيعية مثلًا: «لا تخلو الأرض من

قائم بحجة: إما ظاهر مشهور، أو خائف مستور، لئلا تبطل حجج الله وبيناته»[1].

وتقول أيضًا «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، ولو بقي في غيبته كما بقي نوح في قومه؛ لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا»[2].

ويقول الإمام عليّ عليه السلام معرّفًا به: «هو الذروة من قريش، والشرف من هاشم، والبقية من إبراهيم».

ويشير إليه آخرون بقولهم: «ومن بعد الحسين تسعة من صُلبه، خلفاء الله في أرضه، وحججه على عباده، وأمناؤه في وحيه، وهم أئمة المسلمين، وقادة المؤمنين، وسادة المتقين، وتاسعهم القائم»[3].

هذا ما ورد في كتب الشيعة وعشرات الروايات الموثوقة في السياق نفسه تحدد اسم المهدي ونَسَبه، وهويته. أما ما ورد في كتب السنّة فنكتفي بما يلي:

* عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[4].

---

(1) **إلزام الناصب**، ص 4: **منتخب الأثر**، ص 270، **الغيبة للنعماني**، ص7، **الغيبة للطوسي**، ص132، **البحار**، ج 52 ص 92، **المهدي** ص101، **ينابيع المودة**: ج 2 ص 148، **نهج البلاغة** ج 4ص 37.

(2) **منتخب الأثر**، ص141 وص 215، **عيون أخبار الرضا** ج 2 ص 65، **بشارة الإسلام** ص284، **نور الأبصار** ص 171 و231، **كشف الغمّة** ج 3 ص261 ـ 266، **الصواعق المحرقة** ص98، **المحجة البيضاء** ج4 ص335، **ينابيع المودة** ج3 ص 86.

(3) **إلزام الناصب**، ص11، **إعلام الورى** ص 278.

(4) **الترمذي**، المجلد 8، باب ما جاء في المهدي ص 173.

وجاء النص في سنن أبي داود كما يلي:

* عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم... حتى يبعث فيه رجلًا منّي أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي... وزاد عليها... يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن تُملأ ظلمًا وجورًا»[1].

* ولدى ابن ماجة ومسند أحمد:

«المهدي منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة..»[2].

وفي مسند أحمد أيضًا: «يكون من أمتي المهدي، فإن طال عمره أو قصر، عاش سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين... يملأ الأرض قسطًا وعدلًا وتخرج الأرض نباتها وتمطر السماء قطرها»[3].

* وفي تفسير ابن كثير عن مسانيده:

«... منهم المهدي المبشّر في الأحاديث الواردة يذكره: أنه يواطىء اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه أسم أبيه، فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا...»[4].

وغير ذلك الكثير الكثير، ليس البحث بصدد إحصائه أو التأكيد عليه بقدر الحرص على استشراف المستقبل وتحديد الموقف المسؤول منه انتظارًا إيجابيًّا لهذا المنقذ العظيم.

(1) **سنن أبي داود**، المجلد 11 ص 349.
(2) **ابن ماجه**، المجلّد12 ص 103،**مسند أحمد**، المجلد الثاني ص 116.
(3) **مسند أحمد**، ج 2 ص 325.
(4) **تفسير ابن كثير** ج 3 باب 14 ص 66.

المستقبل والموقف المسؤول منه

ما دام المستقبل هو الزمن القادم، وأن هذا الزمن هو جزء من حركة التاريخ التي تشدّ أبعاد الزمن الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل بعضها ببعض، وما دام الإمام المهدي - في المفهوم الإسلامي - هو المدّخر لصناعة المستقبل، يجب أن نتأمل في السؤال التالي:

هل الفرد (البطل) أو (الرمز) هو الذي يحرّك التاريخ من خلال نماذج الأنبياء والأوصياء والقادة الكبار المصلحين؟ أم أن المحرّك هم النخبة المتميزة سياسيًّا أو اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا؟ أم أن المحرّك هو المجتمع بكل عناصره وشرائحه ورجالاته؟ أم أن المسألة نتاج التفاعل بين الأمة والبطل؟ أو بين الحَتم التاريخي والقوانين الاجتماعية، أي بين السنن والإرادة؟ أم غير ذلك؟

من المدارس المهمة في هذا المجال:

1 - مدرسة الفيلسوف الاسكتلندي (توماس كارليل) التي تؤكّد أن التاريخ العالمي هو تاريخ العظماء وما أنجزوه. وهو حصيلة الأفكار التي عاشت في عقولهم، وقد اختصر (أمرسون) هذه النظرية وبلورها واعتبر التاريخ حصيلة قيادة الفرد الفذّ العبقري. وأتمّ (غالتون) هذه النظرية، وسماها (**نظرية القائد العظيم**) The Great Leader Theory. كما عدّ (وليم جيمس) أن مبادرات المبدعين الكبار هي العامل الوحيد في حركة الإنسانية تكاملًا أو تسافلًا. تكاملًا إذا كانت مع حركة القائد، وتسافلًا إذا كانت ضدّه - بطبيعة الحال - .

ومن هنا طرح عالم الاجتماع الألماني (ماكس فيبر) مصطلح **(القيادة الكارزمية)** charismatic Leadership التي تعني: القيادة الملهمة الجذابة، أو الساحرة الموهوبة، أو الآسرة الفذة التي تنطوي على مزايا خاصة واستثنائية خارقة، وإنْ كانت بشرية وذاتية وليست مكتسبة.

2 ـ المدرسة الأخرى هي مدرسة النخبة أو الطبقة. ونواتها مجموعة من الأفراد الاستثنائيين الذين تفرزهم عوامل معينة، فيتكاملون في حركتهم ويقومون بدورهم في صناعة التاريخ، وهم الذين يقول عنهم (غوستاف لوبون): إذا أخرجناهم من كل جيل سقط مستوى الأمة العقلي سقوطًا كبيرًا وانهار البناء الاجتماعي المعوّل عليه.

3 ـ المدرسة الثالثة هي مدرسة المجتمع التي تميل إلى إنكار دور الفرد أو إنكار تأثيره أو تخفيفه في صناعة الأحداث إلى أدنى حدّ وتعتقد (أي هذه المدرسة) بأن الجماعة الإنسانية المنسجمة هي التي تُحرّك التاريخ، وأن الفرد هو صنيعة المجتمع، وأنه لا يمتلك هوية مستقلة خاصة به، وأنه لا يعدو عن كونه خلية واحدة أو عضوًا واحدًا في جسد المجتمع ليس إلّا وإنْ كان تأثيره يرتفع وينخفض حسب قوة هذا الجسد ونبض قلبه وحيويته وحركته أو حركيته.

وقد تعرضت هذه النظريات أو المدارس الثلاث إلى النقد المتبادل فيما بينها وكذلك من قِبل مدارس أخرى ظهرت في وقتٍ متزامن أو في فترات متلاحقة وانتهى (أي هذا النقد) في خلاصته إلى ظهور نظرية سُمّيت بـ **(النظرية التفاعلية)** Interactional Theory التي تؤكّد على تفاعل أربع عناصر يكمّل بعضها الآخر لصناعة التاريخ وهذه العناصر هي:

أ ـ القائد وشخصيته أو جاذبيته.

ب ـ النخبة الاجتماعية المحيطة به.

ج ـ المجتمع الذي يعيش الطرفان في محيطه وأجوائه.

د ـ الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تلفّ الجميع.

لا شكّ أن (البطل) وحده لا يستطيع دائمًا صناعة التاريخ في غياب الظروف الموائمة أو الملائمة، وكذا النخبة والمجتمع في غياب القوانين الاجتماعية المؤثرة والفاعلة. وهذا يعني أن البطل (القائد) والنخبة (الصفوة) والمجتمع (الأمة) والفكر (العقيدة) والقوانين التاريخية (السنن الإلهية) والحتميات التاريخية (الوعود الإلهية) أو المدد الإلهي كلّها عناصر فاعلة تكمل بعضها بعضًا، وتساهم مع بعضها البعض بنسب معينة في تحريك التاريخ وإحداث التحوّلات الكبرى فيه.

المهدوية واستراتيجية البقاء

ولما كانت القضية المهدوية قراءة واعية للمستقبل واكتشافًا مدروسًا له، فعلى الإنسان المؤمن بها أن ينظر للحقائق الكونية من ثلاث زوايا أو ثلاثة أبعاد: بُعد ينظر للماضي ويستلهم منه ولا يقفز عليه أو يزهد فيه، وبُعد يتأمل في الحاضر ويُحدق فيه وينطلق منه، وآخر يتبصّر في المستقبل ويستشرفه ويتطلّع إليه، وكل ذلك في إطار نظرة تكاملية تعي ما تريد، وتفقه ما تقرأ.

في هذا المعترك، باتت الدراسات المستقبلية رهان الغرب في السيطرة على المستقبل. وبات يُطلق عليها اسم (استراتيجية البقاء) وهي غير العولمة والقطب الأحادي والهيمنة وما إلى ذلك.

نعم، إن الغرب عمد إلى محاولة اكتشاف مجاهيل المستقبل بمناهج ودراسات علمية منظورة ومعمّقة لمواجهة المتغيرات واستباق الصدمات والاحتراز من المجهول. ونقول متطورة لأنها تجاوزت مراحل التنجيم والتكهّن والتنبؤ، يوم كان المنجمون والكهنة أكثر حظوة لدى الزعماء والشعوب من الفلاسفة والحكماء وحتى الزعماء الكبار الصالحين.

ولما كان المسلمون هم المستهدفون قبل غيرهم، بل هم هاجس الغرب اليوم ـ في هذه الدراسات، وفي القضية العالمية الأحادية الناشطة الجديدة ـ وبما أننا مهدّدون في حاضرنا ومستقبلنا من قِبل عدو متربّص متغطرس؛ فلا خيار لنا إلّا أن نُدرك وبعمق أن بناء المستقبل هو قرار الحاضر، تمامًا كما كان الحاضر مستقبلًا للماضي في يوم من الأيام.

وهذا يعني أننا بحاجة إلى جرعات عالية جديدة من الثقة بالله سبحانه تعالى ووعده والاعتقاد بلطفه وعدله ورحمته. ولعلّ في مقدّمة هذه الجرعات أننا بحاجة إلى صدمات وصعقات تُعيد لنا توازننا في هذا العالم المتزلزل، وفي زمن اهتزت فيه القيم وارتجّت المقاييس، لعلنا بهذه الصدمات نعود إلى الأصول أو إلى البدايات، يوم كان رسول الله ﷺ وحيدًا ملاحقًا ليس معه إلّا الثقة بالله والاستعانة به وهو يقول لسُراقة: اتركني ولك أساور كسرى، وبعدها تتغيّر الدنيا ويحكُم دين المستضعفين ويَفرح المؤمنون بنصر الله.

هذا أولًا، وثانيًا: لقد كانت هناك بدائل خرافية، ظلّ الإنسان ـ بدافع حاجاته وطموحاته وتطلّعاته، يبحث عنها ويرنو بواسطتها إلى المستقبل، متهربًا من كابوس الآلهة القاسية

وهيمنة الكاهن التاجر، ودجل الفقيه الفاجر، فلجأ إلى الخرافة، باعتبارها نشاطًا فكريًّا يقوم على عنصر الإدهاش والتهويل والمبالغة، وإن كانت هذه الخرافة لا تعدو كونها في كثير من الأحيان معبّرًا عن أزمة نفسية أو اجتماعية حادة يتدخل فيها البشر المتفوّقون كآلهة سامية متعالية، كما هو شأنهم في الأسطورة القديمة وهبوط عشتار إلى العالم السفلي وهي تبحث عن حبيبها المفقود(1).

وتدخّلت ظاهرة الأحلام والرؤى بل أضغاث الأحلام أحيانًا كبدائل عن التفكير المستقبلي، فراح الإنسان يتشبّث بها أملًا وتطلّعًا، ظنًّا منه أنه من خلالها يستشرف مستقبله أو يتعرف عليه ويتحكّم به.

فالأحلام تعني الأماني والتخيل والتهويمات لرسم صورة المستقبل المرغوب فيه. وكثيرًا ما كان الإغريق يتعاهدون المبيت في معبد خاص لعلّهم يحصلون على أحلام جيدة وسعيدة يستشرفون من خلالها آمالهم ومستقبلهم. وكان للبابليين إله خاص بالأحلام اسمه (ماخر) وللمصريين إله آخر اسمه (بس)(2).

وفي الصين، برز (العرّاف) ليمثّل الروح الوسيط أو (الشامان) كحلقة وصْل بين البشر والأرواح. وتحويل الخطوط والصور إلى تعاويذ وقراءة كف أو فنجان أو التنبؤ بالحظ(3).

---

(1) راجع السواح، فراس، **الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية** 1997. دار علاء الدين، دمشق ط 1 ص 14، وراجع: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** لجفري بارندر، ص 18.

(2) علي الوردي: **الأحلام بين العلم والعقيدة**، ص 31.

(3) جفري، بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص 339.

وبقيت الخرافة عنصرًا مهمًّا يعمد إلى إحداث نوع من التوازن في الوسط الاجتماعي وخاصة حين يتعرّض هذا الوسط إلى الاضطراب أو الارتباك أو الإحباط وخيبة الأمل.

ولا نعني هنا جميع الأحلام وجميع الرؤى وجميع التنبؤات طبعًا، لأن هناك استثناءات، والاستثناء لا يُلغي القاعدة كما يقولون؛ وإنما يؤكّدها في كثير من الأحيان.

وبين نظريتَيْ العلم والخرافة هاتين تواجه النظرية الإسلامية خيارين أوليين. يُعبر أحدهما عن سعي تأصيلي جادّ ليبلور اتّجاهًا إبداعيًّا خاصًّا يمتلك منطلقات ومناهج وأساليب خاصة توازي النظريات الغربية المطروحة، ويقدَّم كعمل علمي مستقلّ، فيما يقوم الخيار الآخر أو النظرية الأخرى على انتظار سلبي لقائد مُلهم موعود، يتحمّل وحده عبء التغيير وليس على أتباعه أو منتظريه إلّا دراسة علامات الظهور بعيدًا عن شرائط هذا الظهور أو مقدماته أو مقوّماته.

إن التفكيك بين هذين الخيارين أو الاتّكاء على أحدهما دون الآخر هو الموضوع الذي يُفترض بالمعنيين بالشأن الإسلامي ـ وخاصة المهدوي ـ الالتفات إليه وتعميق الدراسات فيه لئلا يشطّ بنا وبهم المقام، فنُستهلك أو نغرق تفريطيًّا في تنظيرات مادية بحتة بعيدة عن عالم الغيب، تجنح بنا كثيرًا عن الجذور والأصول، أو الاستهلاك والغرق إفراطيًّا في تهويمات أو أضغاث أحلام تنأى بنا كثيرًا أيضًا عن الانتظار الإيجابي والفاعلية العملية وتحمّل المسؤولية التي أرادها ويريدها الخالق سبحانه في تفعيل عملية التدافع أو الابتلاء الواردة في القرآن الكريم في نصّ قوله ـ عزّ من

قـائـل ـ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

أو قوله الآخر ـ جل وعلا: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[2].

المهدوية والنهاية المعصومة للتاريخ

وبين هاتين النظرتين أو القراءتين لمستقبل البشرية طلعت علينا في فترة ما من تاريخنا المعاصر الرؤية الماركسية التي حاولت التنظير للشيوعية باعتبارها المرحلة النهائية من مراحل التاريخ، وتنامى هذا التصوّر أو هذه الرؤية حتى صدمها الواقع وصارت تاريخًا فكريًّا يُقرأ، أو مخزونًا ثقافيًّا يُكتنز.

ولم تختلف نهايات القرن العشرين عن بداياته بعد أن ظهرت مقولة (**نهاية التاريخ أو الإنسان الأخير**) التي أطلقها المفكر الأمريكي ـ الياباني الأصل (**فرانسيس فوكوياما**) والتي راحت تبشّر وتنظّر، وتزعم أن الديمقراطية الليبرالية الحديثة هي نهاية التاريخ وأنّ الإنسان الديمقراطي الليبرالي هو الإنسان الأخير، وكأن مقولتي المادية التاريخية ونهاية التاريخ، من ماركس إلى فوكوياما، هما ترياق البشرية المعذّبة وإكسير الحياة المصبوغة بالدم والدموع.

إنّ تقديم الفكرة المهدوية كبديل، مقابل هاتين النظريتين، لا تنطلق، أو لم تنطلق لحدّ الآن من هذه الرؤية الجزمية، المنبعثة

(1) سورة البقرة، الآية: 251.
(2) سورة الحج، الآية: 40.

من نرجسية عالية أو زهوّ مغرور. وإنما أبقت الباب مفتوحًا لكل عناصر الفعل الإنساني الخيّر ودوره في صناعة التاريخ والحاضر والمستقبل، فأوحت للمؤمن المهدوي أن لا يرى في قوّته نهاية التاريخ البشري، وإنما عليه أن يواصل جهاده ويبذل جهده في الفعل والتغيير حتى تأتيه نهاية التاريخ السماوية المعصومة التي لا يعلم موعدها إلّا الله تعالى. فالمهدي (عج) في الرؤية الدينية نموذج لكمال الواقع الذي يؤكّد لنا نقص واقعنا لا كماله، وهو الأمل الموعود لإتمام هذا النقص وترميمه بحيث، يبعث فينا المزيد من الواقعية والتواضع لقيادة عملية التغيير دون أن يُحلّق بنا إلى سوريالية متعالية، أو قطعية مزدهية أو فضاء متغطرس، كما كان الأمر مع ماركس وفوكوياما.

وهذا هو الذي عناه السيد الشهيد الصدر الأول بقوله: «إنّ الفرد المؤمن يمكنه أن يكون أكبر من ببغاء في تيار التاريخ وبخاصة حين يُدخل في الحساب عالم الصلة بينه وبين السماء، وحين تكون هذه الصلة قوة موجّهة لحركة التاريخ»[1].

وهذه نفسها يمكن أن تشكّل في محتوى الفرد المؤمن مضمونًا فاعلًا ومحرّضًا لفكرة الرفض المطلق لكل ألوان الظلم والتعسف أيًّا كان مصدره أو منطلقه. وعلى ضوء الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث والروايات المأثورة.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[2].

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[3].

(1) السيد الشهيد محمد باقر الصدر، **بحث حول المهدي**، ص 67.

(2) سورة هود، الآية: 113.

(3) سورة الشعراء، الآية: 227.

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[1].

وأخيرًا وليس آخرًا «كونوا للظالم خصمًا وللمظلوم عونًا».

وغير ذلك الكثير مما لا يسعه البحث في سياق الإعداد أو التربّص لعملية التغيير الكبرى التي أوعَدتْنا بها جميع الأديان، ودعا لها جميع الأنبياء.

القائد المتَّصل بالسماء

وفي خضمّ هذه المسيرة اللاحبة وربما الانتظار المرّ، تأتي فكرة المنقذ لتؤكّد على دور القائد الرمز المتّصل بالسماء في صنع التاريخ. ولا يتأتى ظهور هذا المنقذ بالتأكيد إلّا في أعقاب فراغ كبير أو أزمة حضارية خانقة تفسح المجال أمام المتشبثين بالأرض أو تجبرهم على التوسّل بالسماء. لا سيما بعد إخفاق الأنظمة الوضعية كلّها وفشل كل التجارب التي عوّل الإنسان صياغة تاريخه ومستقبله عليها.

ولا يتأتى هذا الإنقاذ أيضًا إلّا بعد أن تُقام الحجة الكاملة على الناس، فيُساق الذين ظلموا، أو يُستدرجوا إلى خزي الحياة الدنيا: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

وهذا لا يتأتى أيضًا إلّا بعد طوفان جديد وضلال ظاهر وحيث ينتظم المجرمون تحت رايات الضلال وحينها «يُرفع

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 81.

(2) سورة الأنعام: الآيتان 44 ـ 45.

العلم، ويثبُت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا»[1]، «ويكثر الهرج والمرج والقتل»[2].

وهنا يصطف المعاندون تحت أعلام الدجال بمعناها الرمزي طبعًا حيث [ما صُنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كثيرة إلّا لفتنة الدجال] [3]. وتقف جميع المسيرات التي انحرفت عن ميثاق الفطرة، وأشركت بالله تحت هذه الأعلام والرايات يتقدمها صناع الفتن وأصحاب الأهواء وتجار الحروب وجلادو الشعوب وجميع الذين ظلموا وصدوا عن سبيل الله.

وبعد هذا الطوفان يظهر القائد الموعود من قِبل السماء، فيردم الهوّة بين عالَم الغيب وعالَم الشهادة التي حفرها المستكبرون، حيث سقطوا وأسقطوا فيها كل معاند مستكبر، ولن ينجو حينها إلّا من ألقى السمع وهو شهيد.

ولما كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام وأوسع منه، باعتبارها تطلّعًا فطريًّا لبني الإنسان كما قلنا ؛ فإن معالمها التفصيلية التي حدّدها الإسلام جاءت أكثر إشباعًا لكل التطلّعات التي انشدّت لهذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني. كما (كانت أغنى عطاءً وأقوى إثارةً لأحاسيس المظلومين والمعذبين على مرّ التاريخ)[4].

وسبب ذلك أن الإسلام حوّل الفكرة من غيبٍ غائم

---

(1) رواه مسلم، **الصحيح**: 8 / 58.
(2) المصدر نفسه.
(3) رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح **الفتح الرباني**: 24: 69.
(4) **بحث حول المهدي**، الشهيد محمد باقر الصدر، طبعة 1986، ص 20.

وطموح مجرد إلى إيمانٍ وواقعٍ في دنيا الناس، ومن مجرّد هروبٍ أو انكفاء نحو الماضي إلى أمل بالحاضر والمستقبل. ومن تطلّع إلى مستقبل بعيد وربما مجهول إلى إيمان بوجود منقذٍ شاءت إرادة الله تعالى له أن يبقى فكرة مغيبة أو شخصًا غائبًا (لا فرق) ما دام كائنًا أو سيكون مواكبًا لكل التحولات الكبرى في الأرض وإنْ بشكلٍ إعجازي، ليس أكثر إعجازًا بالتأكيد من كلام طفل في المهدِ كعيسى أو تحوّل عصى موسى إلى ثعبان، او انفلاق البحر له، أو بقاء طعام عزير لم يتسنّه مائة عام، أو انبعاث أصحاب الكهف الذين رقدوا في كهفهم ثلاثمائة عام وازدادوا تسعًا، وغير ذلك الكثير في مدوّنات التاريخ وثوابت الأديان.

فلم يعُد المهدي فكرة ننتظر ولادتها بلا طائل، ولم يعُد نبوءة نتطلع إلى مصداقها بلا مصداق، بل بات واقعًا قائمًا ينتظر إنسانًا معينًا ينهض بمهمة تغييره بتسديد السماء واحتضان الأرض.

وإذا كان قد قُدّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه، أو أنّه سيأتي لا محالة لتنفيذ مهمة التغيير فإنه بانتظار اليوم أو الساعة أو اللحظة التي يُتاح له فيها أن يمدّ يده إلى كل مظلوم وكل محروم ليقطع دابر الظلم وينبلج الفجر وتصبح لعنة الله على المعاندين والظالمين.

نعم، إن الفكرة بهذه المعالم والمحدّدات تُقرّب الفاصلة الغيبية بين المظلومين ومنقذهم، وتجعلهم ينشدّون إليه ويتوقعون ظهوره مهمًا طال الانتظار. ورغم ما في هذا الانتظار من مرارة إلّا أنه أمل وأمل كبير على كل حال، والسعادة كما يقولون ليس أن يجد الإنسان ما يعيش به ولكنْ ما يعيش له.

إما إذا تحدّثنا عن علامات الظهور بدلالاتها الرمزية وابتعدنا عن مصاديقها التي تعلقت بانحراف القيادة الإسلامية بعد النبيّ ﷺ ومجيء دولة بني العباس، واختلاف أهل المشرق والمغرب، ونزول الترك في الجزيرة العربية، والروم في الرملة، وقتل النفس الزكية مثلًا، وظهور الدجال والسفياني، وغيرها، كخروج اليماني والخراساني وانكشاف الفرات عن كنز من ذهب يقتتل عليه الناس، وأمثال ذلك، وخاصة ما يتعلق بفكرة الدجال الذي هو رمز السلطة والإغواء، فإننا سنصل إلى استدلالات مهمة خلاصتها أن بني الإنسان سيُفتنون وفق قوانين التمحيص والإمهال الإلهية، وأنهم آتون إلى يوم معلوم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾(1)، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾(2).

الخلاصة والمُراد

يُستفاد من كل ما سبق، وباختصار شديد، أن فكرة المهدي سبقت الإسلام، وأنها تطلّع أصيل عاشته جميع الأديان السماوية، بغضّ النظر عن تفاصيل المنقذ ومحدّدات الرمز وشخصيته وهويته.

كما أنّها إلهام فطري ينبثق من إيمان الإنسان بوعد الله وعدله ولطفه ورحمته، وأنه سبحانه لن يترك البشرية كمًّا مُهملًا

(1) سورة الكهف، الآية: 98.
(2) سورة يونس، الآية: 24.

بلا حجُة، وإنّما تقتضي الحكمة أن تكون خاتمة الدنيا حجة لا كالحجج كما كانت بدايتها عند بعث الأنبياء والرسل وإنقاذ الإنسان من الظلمات إلى النور.

الأمر الآخر، أنّ هذا الموعود المنتظر لا بدّ أن يلتصق بآخر رسالة سماوية، أي خاتمة الرسالات، وهي رسالة الإسلام ليتمّم ما جاءت به جميع الأديان، فيكون سليلًا لإبراهيم، ورفيقًا لعيسى، وشرفًا من محمد ﷺ، وفرعًا من هذه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أما ما يجب على المنتظرين فعله، فليس إحصاء علامات الظهور فقط، وإنّما التوفّر على إيجاد أسبابه وشروطه عِبْرَ الاستعداد والترقّب وقراءة المستقبل على أسس علمية، ووفق القوانين والنواميس والسنن التي أودعها الباري تعالى في خلقه ليحقّ الحقّ بحكمته وينزل لعنته وغضبه على الظالمين والمعاندين وأعداء الدين.

وما دامت الفكرة المهدوية متصلة بالسماء، فلا بدّ لزعيمها أن يكون عظيمًا ومسدّدًا، بل أن يكون معصومًا وملهمًا، ولا بدّ لخاتمة الدنيا أن تكون معصومة ومسدّدة هي الأخرى، وليس هذا من وحي خيال، أو نبوءة كاهن أو تأويل منجّم أو أضغاث أحلام، وإنما هي سنة الله في عباده وتحنّنه عليهم ورحمته بهم... ولن تجد لسنة الله تحويلًا، ولن تجد لسنته تبديلًا...

وكما قلنا، فإننا لا نرى لهذا الظهور المقدّس من فرصة إلّا بعد إخفاق الإنسان ويأسه، وفشل كافة التجارب الوضعية التي ابتعدت عن الله، عن إرساء معالم الحق والعدل بل

تضييعها عن عمد وجهل وسبق إصرار، وسيكون ذلك نتيجة طبيعية لتناقضات التاريخ وعناد الإنسان المنقطع عن السماء.

ندعوه سبحانه ألا تكون عقوبته عبر حرب مدمّرة يصطرع فيها الناب الذرّي والمخلب النووي هذه المرّة، فيهلك من كل خمسة أربعة أو من كل عشرة تسعة ـ كما تقول الروايات ـ وهو ما باتت (بشائر) نحسه تطْلع علينا في شرق الأرض وغربها.

المرارة والأمل (نصّ معبّر)

ورغم المرارة التي يشعر بها بعض الشيعة المخلصين بسبب عودة المفوّضة والغلاة في كتابات بعض من علمائهم المعاصرين، إلّا أن الأمل يحدونا في كتابات أخرى وعلماء أخرون بدأوا يقتحمون الممنوع (المقدس)، ويناقشون المحظور المسكوت عنه في كتب وبحوث جديدة لعلّ في مقدمتها مثلًا ما دوّنه أخيرًا آية الله الشيخ آصف محسني وما أقدم عليه من خطوة جريئة تناول فيها كتاب «بحار الأنوار» للمرحوم العلامة المجلسي، ودعوته إلى ضرورة تنقيحه وتهذيبه ورفع ما جاء فيه من مئات الروايات التي سمّاها آية الله الشيخ محمد آصف محسني (**مظنونة الوضع، لا يُطمئَن إليها أو لا توجِب الاطمئنان**) أو فيها (**قصص لا نعلم مقدار صدقها من كذبها**) يرويها (**ضعفاء وكذابون**) وفيها (**مجاهيل كثيرة**) وإنها (**غير معتبرة سندًا**) ـ حسب تعبيره ـ ويضيف متألمًا ومنبّهًا:

«وترى كثيرًا من المبلّغين والكتّاب والمقلّدين يرون (أو ينقلون) منقولات الغلاة والكذّابين والمجهولين وكأنها أقوال لرسول الله ﷺ وأوصيائه الطاهرين، أو كأنها السنّة القطعية، أو أنها كالآيات القرآنية في الاعتبار والاعتماد بمجرد وجودها في بحار الأنوار.. وما يؤمنهم (أي وما يظنون)

أنها لعلها من وضع الوضّاعين وجعل الدجّالين واختراعات الجاهلين»[1].

وينبّه آية الله محسني في المصدر نفسه قائلًا:

«وآل الأمر من جرّاء هذه المأساة إلى تشكيل ثقافة محرّفة في المعارف والأخلاق، بل في الفروع الاعتقادية، فرسخت في أذهان العوام ومتوسطي أهل العلم بحيث سلبت جرأة الإصلاح عن جمع من الخواص خوفًا من ثورة العوام الذين انحرفوا بدورهم من سيطرة الخواص عليهم، وعدم اهتمام الحوزات العلمية والمسؤولين الدينيين بتهذيب الروايات وتحرير المعارف الإسلامية الشاملة، وهذا خطر عظيم على الدين وأهله»[2]. مضيفًا:

«ويعلم أهل العلم المتوسطين (أي متوسطو العلم) أن في بحار العلامة مجلسي رضي الله عنه مع كونها بحار أنوار، جراثيم مضرة لشاربها ومواد غير صحية لا بدّ من الاجتناب عنها، وأشياء مشكوكة ومشتبهة وجب التوقّف فيها».

بعدها راح الشيخ محسني يقتحم ممنوعًا آخر بجرأة لا تخلو من شعور عالي المسؤولية حول ما وصل إليه حال الشيعة بسبب التهاون في التهذيب وتشذيب الموروث الديني الشيعي فيقول:

«وانظروا بنظر الاعتبار الكتب الأخلاقية المدوّنة

---

(1) **مشرعة بحار الأنوار**: آية الله الشيخ محمد آصف محسني، ط1 / 1423، ج1 ص10. جدير ذكره أن لغة الشيخ المذكور (أي لسان الأم) هي اللغة الفارسية أو الأفغانية ولذلك جاءت بعض عبارات الكتاب ضعيفة أو غير متينة.

(2) المصدر نفسه ص 11.

الموجودة عندنا وكيف أنها مسخت الأخلاق الإسلامية إلى حدّ ما باحتفاظها بالشعارات العرفانية والنعرات الصوفية ومبالغات الأغبياء والجهلة وبالمزخرفات اليونانية وزينّوها بالروايات الضعيفة والمجهولة ونسبتها (أي نسبوها) إلى الرسول الأكرم ﷺ والأئمة نسبة قاطعة كالمتواترات!! فأثرت على أفكار المسلمين في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والصنعة (أي الصناعة) فتأخروا عن موكب الحضارة وأسروا في شبكة الاستعمار الغربي الملحدين فخسروا دينهم ودنياهم»[1].

نعم ـ يضيف الشيخ محسني ـ :

«إن المتون نافعة (أي متون البحار) للاتعاظ أولًا والوعظ ثانيًا، والمبلّغون يستفيدون منها (أي الروايات) ويستفيدون من أصل العلم لأنفسهم ولإصلاح الناس، ولكن ليس لهم أن يقولوا على المنابر في المجالس: إن الإمام الصادق عليه السلام قال كذا وكذا، أو قال تعالى لموسى كذا وكذا، أو قال موسى كذا وكذا»[2].

وينتهي هذا النصّ الشيعي الجريء الجديد بإلقاء العَتب على الشيخ المجلسي في (إفراطه) و (إسرافه في الوقت والمال) و (إسرافه في القرطاس في كتابة منقولات لا ترفع من شأن كتاب البحار بل توهن وتضع من قيمته) ـ حسب تعبيرات الشيخ المذكور ـ الذي اختتم صرخته بالقول:

«إن مثل كتاب بحار الأنوار لا يبقى في مثل أصفهان أو طهران (أي بلاد الشيعة فقط) وقراهم. . .ولكن الله يعلم كم من

(1) **مشرعة بحار الأنوار**: آية الله الشيخ محمد آصف محسني، ص 15 ـ 16.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 285.

الأضرار التي تصيب المؤمنين في الهند وأفغانستان وباكستان وبعض البلاد العربية من جرّاء هذه الروايات... عفى الله عنّا وعن الشيخ المجلسي وعن جميع المؤمنين... وعليه كتاب البحار مهم، ولكن لا يجوز الأخذ بكل ما فيه (كما قال مؤلفه نفسه) ولأجله بنيت له مشرعة حتى يؤخذ منها من مكان مخصوص لا يغرق الآخذ ولا يشرب فيه الجراثيم والميكروبات المضرّة ـ كما ذكرنا ـ والله الهادي إلى سواء السبيل»[1].

نكتفي بنقل هذا النصّ المعبّر ونلفت النظر إلى كتاب آخر ونص آخر أو نصوص أخرى مهمة وردت في كتاب جريء آخر ـ مرّ ذكره ـ وهو كتاب «**تطور المباني الفكرية للتشيّع في القرون الثلاثة الأولى**» المطبوع سنة 1423، وتحديدًا الفصل الثاني فيه الموسوم بـ(الغلوّ والتقصير والجادّة الوسطى) من صفحة 33 إلى صفحة 82. لعلّ في هذه النصوص أول هذه البحوث الواعدة ما يمكن أن يكون باكورة عمل تحقيقي مهم لتهذيب الموروث الشيعي وإعادته إلى أصوله العظيمة (أي مذهب التشيّع)، ومن ثم العودة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي هو بالتأكيد الامتداد الحقيقي للإسلام المحمدي الأصيل والمنقذ لكل ألوان القراءات المتطرفة والمغالية.

(1) **مشرعة بحار الأنوار**: آية الله الشيخ محمد آصف محسني، ص 236 و273 و281 من المجلد الثاني.

نصوص ومواقف أخرى حول الغلوّ

قال الله تعالى في كتابه المجيد:

- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(1).
- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾(2).
- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾(3).
- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(4).
- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿26﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(5).

(لاحظ الإظهار فقط أي الاطّلاع وليس العلم).

- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾(6).

---

(1) سورة المائدة، الآية: 77.
(2) سورة هود، الآية: 31.
(3) سورة الكهف، الآية: 110.
(4) سورة إبراهيم، الآية: 11.
(5) سورة الجن، الآيتان: 26 ـ 27.
(6) سورة آل عمران، الآية: 179.

- ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾[1].
- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾[2].
- ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾[3].

صدق الله العلي العظيم

من دعاء الإمام الرضا عليه السلام:

اللَّهم إني بريء من الحول والقوة... اللَّهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق... اللَّهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا... اللَّهم لك الخلق ومنك الرزق... اللَّهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا... اللَّهم من زعم إنّا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براء كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى... اللَّهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدّعون، ولا تدعْ على الأرض منهم ديّارًا، إنك إن تذرْهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجرًا كفارًا[4].

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 50.
(2) سورة الأنعام، الآية: 59.
(3) سورة الأعراف، الآية: 188.
(4) **البحار**، 25 / 343.

أقوال أخرى في الغلوّ والتطرّف

- لقد ذكر الشيخ الكليني خمسة أحاديث في باب سهو النبي، الأول موثّقة سماعة بن مهران، والثاني عن الحسن بن صدقة وهي ضعيفة، والثالث موثّقة سماعة، والرابع صحيحة سعيد الأعرج، والخامس كذلك صحيحة سعيد الأعرج[1] .
- كان الشيخ الصدوق يعتبر كل من لا يقول بسهو النبي من الغلاة (أوّل درجة في الغلوّ نفي السهو عن النبيّ)[2].
- الشيخ المفيد يعتبر من يقول بالعلم المطلق للإمام غاليًا: «فإما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بيّن الفساد لأن الوصف بذلك إنما يستحقه مَن علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلّا لله عزّ وجل»[3] .
- وقال السيد المرتضى: «معاذ الله أن نوجب للإمام من العلوم إلّا ما تقتضيه ولايته، وعلم الغيب خارج من هذا»[4] .

---

(1) راجع كتاب «**شبهة الغلوّ عند الشيعة**» الدكتور عبد الرسول عبد الغفّار ص262.

(2) مصنفات الشيخ المفيد، **أوائل المقالات**، ص171.

(3) **أوائل المقالات**، ص67.

(4) **الشافي في الإمامة**، السيد المرتضى ج3، ص114.

- قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضية أنهم كفار بالله تعالى»[1].
- وقال المفيد: الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، ووصفوه في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا به الحدّ وخرجوا عن القصد وهم ضلّال كفّار[2].
- وقال المفيد: والمفوضة صنف من الغلاة، وقولهم الذين فارقوا به مَن سواهم من الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القِدم عنهم، وإضافة الخلْق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أن الله تفرد بخلقهم خاصة (أي الأئمة) وأنه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الفعال[3].
- وقال الشهيد الأول في اللمعة: الغلاة لا يدخلون في مفهوم الإسلام وإن صلُّو للقبلة.
- وقال الشيخ محمد الخالصي: رَوّجَ مذهب التفويض في العصر الأخير ثلاثة نفر، الإحسائي والرشتي والكرماني، وزادوا فيه، وأوغلوا في الغلو حتى زعموا استحالة أن يكون الله خالقًا ورازقًا وإنما الخلق والرزق للحقيقة المحمدية[4].
- يقول الشيخ جعفر السبحاني: اتفقت كلمة الموحدين على

(1) **الاعتقادات**، للصدوق ص99.
(2) **تصحيح الاعتقادات** ص52.
(3) المصدر السابق نفسه، ص137.
(4) **الأشباح النورية ـ الاعتصام بحبل الله**، ص70.

أن الاعتقاد بالتفويض موجب للشرك، وأن الخضوع النابع من ذلك الاعتقاد يعدّ عبادة للمخضوع له[1].

- وقال الشيخ جوادي آملي: وفي القرآن الكريم توضّح العبارة ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[2] أن الولاية في جميع أمورها التشريعية والتكوينية منحصرة بالله تعالى[3].
- وقال السيد الخوئي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الكتاب العزيز يدلّ على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه وتعالى[4].
- وقال السيد الخوئي أيضًا: إن التفويض يلزمه القول بخالق غير الله، فإن معناه أن العبد مستقل في أفعاله وأنه خالق لها، ومرجع هذا إلى تعدد الخالق وهو شرك بالله العظيم[5].
- وقال الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب: ومن المشركين طائفة الغلاة من المسلمين الذين يقولون إن التدبير والخلق والرزق بيد الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكذا المفوّضة الذين يقولون بتفويض الأمور للأئمة، والظاهر أنهم يجعلون الإمام عليًّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شريكًا لله في الربوبية[6].

---

(1) **الإلهيات** ـ جعفر السبحاني 1/ 438.

(2) سورة الأنعام، الآية: 57.

(3) **ولاية الفقيه**، جوادي آملي، ص39.

(4) **التنقيح في شرح العروة الوثقى**، تقريرات علي التبريزي لأبحاث السيد الخوئي 2/ 73.

(5) **البيان في تفسير القرآن**، السيد الخوئي، ص512.

(6) **القلب السليم**، عبد الحسين دستغيب 1/ 125.

أهم ما كتبه علماء القرون الأولى
في الردّ على الغلاة

- كتاب **الرد على الغلاة** ـ يوسف بن عبد الرحمن (208هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ علي بن مهزيار (229 هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ الفضل بن شاذان (260 هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ محمد بن الحسن الصفار (290هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ سعيد بن عبيد الله الأشعري القمي (224 هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ إسماعيل بن علي النوبختي (311هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ اسحاق بن حسن بن بكر (411هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ أبو الفتح الكراجكي (443 هـ).
- كتاب **الرد على الغلاة** ـ محمد بن الحسن بن حمزة (463هـ).

أما في عصرنا الحديث، فإن أشهر من تعرّض للغلاة هم:

- المرجع الكبير الشيخ محمد الخالصي(ق.س): حيث كتب مجموعة من الكتب في الرد عليهم وفضحهم،

وأهمها كتابه الشهير الذي طبع أخيرًا تحت عنوان (**علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات**).

- آل القزويني، السيد محمد القزويني ﵀ وولده السيد علاء الدين القزويني ولهم في هذا الباب العديد من الكتب والدراسات القيمة والمفيدة يمكن الرجوع إليها.